بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم تسليما

الحَمْدُ للَّهِ الذي تَوَلَّى حِفْظَ الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْضَحَ أُصُولَهَا فِي كِتَابِهِ لِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، وَأَرْشَدَ إِلَى فُصُولِهَا العُلَمَاءَ العَامِلِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا كِتَابُ: «كَفُّ الإِخْوَانِ عَنِ[1] التَّعَرُّضِ بِالإِنْكَارِ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ» وَاللَّهَ أَسْأَلُ النَّفْعَ بِهِ لِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، وَيَنْحَصِرُ فِي مُقَدِّمَةٍ وَعَشْرَةِ أَبْوَابٍ.

المُقَدِّمَةُ فِي بَيَانِ مَا يُنْكَرُ وَمَا لَا يُنْكَرُ

وَاعْلَمْ أَنَّ شَيْخَنَا مُحْيِي السُّنَّةِ عُثْمَانَ[2] بن مُحَمَّدٍ المَعْرُوفَ بِابْنِ

---

(١) هكذا في نسخة (ب ج) بحرف «عن» وأما في نسخة (أ) بحرف «على» وهو خطأ الكاتب إذ عن في أغلب معانيها المجاوزة، وتأتي بمعنى «ترك».

(٢) هو عثمان بن محمد فودي المجدد الإسلامي الكبير، كان عالما زاهدا، متصوفا، تلقى العلوم من مختلف المشايخ، ولد سنة ١١٦٩هـ الموافق ١٧٤٤، قام بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله حتى قامت الدولة الإسلامية وعاش مائة عام. له مؤلفات كثيرة لم تعثر إلى نهاية عددها بل كانت حوالي مائتين في أيدينا، بعضها مطبوعة وبعضها لم تحقق ولم تطبع. وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ١٢٣٢ في صكتو ودفن بها.

فُودي أطَالَ اللهُ حَيَاتَهُ فِي طَاعَتِهِ وَزَادَهُ حُبًّا لِنَبِيِّهِ وَإِحْيَاءَ سُنَّتِهِ، لَمَّا أَلَّفَ كِتَابَهُ: **إِحْيَاءَ السُّنَّةِ وَإِخْمَادَ الْبِدْعَةِ**[1] انْتَشَرَ فِي الْبِلَادِ بَعْضُ جَهَلَةِ الطَّلَبَةِ يُنْكِرُونَ عَلَى النَّاسِ أَشْيَاءَ مُخْتَلَفَةً فِيهَا إِنْكَارَ الْحَرَامِ وَيُشَدِّدُونَ إِنْكَارَهَا عَلَيْهِمْ وَيُبَدِّعُونَ فَاعِلَهَا أَوْ يُكَفِّرُونَهُ زَاعِمِينَ بِحَالِهِمْ أَوْ مَقَالِهِمْ أَنَّهُمْ اقْتَدَوا فِي ذَلِكَ بِالشَّيْخِ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ خَالَفُوهُ حِينَ فَعَلُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلْ فَهُمْ كُفَّارٌ[2] أَوْ مُبْتَدِعَةٌ فَيَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَعْضُ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعِلْمِ مِمَّنْ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ فَيَجِدُ الْحَنَقَ[3] عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي زَعْمِهِمْ وَلَا يَأْوِلُ[4] مَا سُمِعَ مِنْهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لِلْجَمِيعِ.

وَأُورِدُ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ مَا أَوْرَدَهُ الشَّيْخُ[5] فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ إِحْيَاءِ

---

(١) كتابه مشهور من مؤلفات الشيخ عثمان بن محمد فودي، ينحصر الكتاب في مقدمة وثلاث وثلاثين بابا. ويتحدث الكتاب عن الأصول والفقه والتصوف وأوضح فيه ما هي سنة وما هي بدعة في جميع الأبواب.

(٢) وكون هذه الطائفة كفارا كما ذكر المؤلف في نص كتابه لأنهم يكفرون الناس على هواهم، أوضح هذا القول أمير المؤمنين محمد بل في كتابه «كف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان» وقال: «... وما ذهب إليه في حكم هذه الطائفة من أنهم كفار أو مبتدعة، أما كونهم مبتدعة فلا خلاف فيه، وأما كونهم كفارا ففيه خلاف إذا كانوا يكفرون الناس على تأويل...» إلى آخر ما قال.

(٣) الحنق كناية عن التشديد في مسائل مختلفة في حكمها حيث يشق على الناس ويجعل الضيق بما فيه الوسع.

(٤) (ولا يأول) والكلمة من «آل يئول» بمعنى عاد.

(٥) يعني الشيخ عثمان شقيق المؤلف وأستاذه.

السُّنَّة ليَتَبَيَّنَ مَنِ اقْتَدَى به وَمَنْ لَمْ يَقْتَدِ به إذْ أَقْوَالُ العُلَمَاءِ تُؤْخَذُ مِنْ كُتُبِهِمْ، فَأَقُولُ وبالله التَّوْفِيقُ.

قَالَ الشَّيْخُ في أوَّلِ مُقَدِّمَتِهِ: «لِيَعْلَمَ النَّاظِرُ في هَذَا الكِتَابِ أَنَّ مَقْصُودِي فِيهِ إنْ شَاءَ اللهُ إحْيَاءُ السُّنَّةِ وإخْمَادُ البِدْعَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَإِنْ كَانَتِ البَيِّنَاتُ لاَ تَخْلُو عَنْ خَلَلٍ ونَقْصٍ ولَيْسَ مَقْصُودِي هَتْكَ أَسْتَارِ النَّاسِ والإشْتِغَالَ بِعُيُوبِهِمْ إلَى أَنْ قَالَ... فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ التَّعَرُّضَ لِهَتْكِ أَسْتَارِ النَّاسِ والإشْتِغَالَ بِعُيُوبِهِمْ خَطَرٌ كَبِيرٌ وَذَنْبٌ عَظِيمٌ، فَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ مُسَوِّغَ[1] الإنْكَارِ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ عَسِيرٌ بَلْ مُتَعَذِّرٌ إذْ قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابن عَبْدِ السَّلاَمِ[2] الإنْكَارُ مُتَعَلِّقٌ بِمَا أَجْمَعَ عَلَى إيجَابِهِ أَوْ تَحْرِيمِهِ فَمَنْ تَرَكَ مَا اخْتُلِفَ فِي تَحْرِيمِهِ، أَوْ تَرَكَ مَا اخْتُلِفَ فِي وُجُوبِهِ أَوْ فَعَلَ مَا اخْتُلِفَ فِي تَحْرِيمِهِ فَإِنْ قَلَّدَ بَعْضَ العُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ فَلاَ إنْكَارَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ مُحَرَّمًا فَإِنَّهُ لاَ يَلْزَمُهُ تَقْلِيدُ مَنْ قَالَ بِالتَّحْرِيمِ وَلاَ بِالإيجَابِ اهـ.

وَحَكَى فِي تَلْخِيصِ الإخْوَانِ[3] مِنْ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ الإنْكَارُ إلاَّ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ الفِعْلَ الَّذِي يَنْهَى عَنْهُ مُجْمَعٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ أَوْ[4] عَلَى أَنَّ

---

(١) مسوغ - اسم فاعل معناه والسبب المجيز.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، له مواقف جريئة إمام سلاطين عصره، وله مصنفات جيدة.

(٣) تلخيص الإخوان اسم كتاب من المخطوطات التي لم تطبع وفاح ذكره في كتب الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمته.

(٤) هكذا في نسخة (ب ج) بأو عطفا وسقطت الواو في نسخة (أ) وبقيت الهمزة فقط وهو خطأ.

الفعلَ الَّذي يأمُرُ به مُجْمَعٌ عَلَى إيجَابِه... إلَى أنْ قَالَ حَاكِيًا عَنِ الإشْبِيلي[1].

وَالعُلَمَاءُ إنَّمَا يُنكِرُونَ مَا أُجْمِعَ عَلَيْه، أمَّا المُخْتَلَفُ فيه فَلاَ إنْكَارَ فيه، إلى أنْ قَالَ... وَفي الدُّرَرِ[2] فَمَنْ شَدَّدَ شَدَّدَ اللهُ عَلَيْه. فَمُرَادُ الله في هَذه الأُمَّة أنْ يَقَعَ الإخْتلاَفُ فَيَحْصُلُ التَّيْسِيرُ، إلَى أنْ قَالَ قُلْتُ: قَد انْعَقَدَ الإجْمَاعُ عَلَى أنَّ آراءَ المجْتَهدينَ كُلَّهَا مَسَالكُ[3] إلَى الجَنَّة وَيَجُوزُ تَقْليدُهُمْ في كُلِّ رَأي[4] إلاَّ مَا خَالَفَ نَصَّ القُرآن أوْ نَصَّ الحَديث أو القَواعدَ أو الإجْمَاعَ أو القيَاسَ الجَليَّ اهـ مَا قَالَ[5].

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ في كُلِّ بَاب منْ أبْوَاب كتَابه بَيَّنَ الخلاَفَ في جَميع الأُمُور المخْتَلَف فيهَا، وَاللهُ يَهْدي مَنْ يَشَاءُ إلى صرَاط مُسْتَقيم.

---

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي يعرف بابن الخراط، الإمام الحافظ العالم بالحديث الموصوف بالخير والصلاح والزهد والورع وملازمة السنة وصنف التصانيف الجليلة مولده ٥١٠هـ وتوفي ببجاية سنة ٥٨١هـ.

(٢) الدرر اسم كتاب.

(٣) هكذا في نسخة (أ، ب) بدون تكرار، أوما في نسخة (ح) بتكرار مسالك خطأ.

(٤) يعني أن التقليد بالعلماء طريق المتصل إلى الجنة، والنبي صلى الله عليه وسلم هو المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها، ولا بد للمدينة من أبواب، إذ لو أغلق الكل لأن يدخلوا على باب واحد لكان الحرج والضيق. والصحابة رضي الله عنهم أبوابها، والعلماء الطريق المتصلة إلى الأبواب.

(٥) أي ما قال صاحب الدرر.

البَابُ الأوَّلُ

في بيَانِ عَدَمِ التَّخَالُفِ بَيْنَ طَرِيقِ الْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ[1]

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الزَّرُّوقُ[2] رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوَاعِدِهِ[3]: الْفِقْهُ وَالتَّصَوُّفُ شَقِيقَانِ[4] فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَحْكَامِ اللهِ وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا بِأَوْلَى مِنَ الآخَرِ فِي مَدْلُولِهِ. وَقَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ[5]: لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْفَقِيهِ وَالْفَقِيرِ، فَإِنَّ الْفِقْهَ أَصْلُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ الْفَقْرُ فَهُمَا صِفَتَانِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ وَكِلْتَا الصِّفَتَيْنِ خُلُقُهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَكَذَلِكَ الأَمْرُ فِي زَمَانِ[6] أَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي الأَخْلاَقِ[7] رَضِيَ اللهُ

---

(١) التصوف: قال رويم رحمه الله هو: استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد. له معان عدة عند علماء هذا الفن.

(٢) أحمد الزروق: أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهير بزروق الولي العارف بالله. ت ٨٩٩هـ.

(٣) وقواعده اسم كتاب لأحمد الزروق.

(٤) هكذا في نسخة (ب ج) بالتذكير في ضمير تثنية للفقه وللتصوف، وفي نسخة (أ) بتاء التأنيث وهو خطأ.

(٥) علي بن ميمون: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن ميمون الإمام العالم، كثير الكرامات ت ٩١٧هـ.

(٦) هكذا في نسخة (ب ج) بالجمع، وأما في نسخة (أ) بالإفراد.

(٧) هكذا في نسخة (أ ج) وأما في نسخة (ب) كتب هكذا: في الإختلاف وهو انحراف.

عَنْهُمْ، حَتَّى طَالَ الزَّمَنُ وَكَثُرَ الْجَهْلُ وَأَهْلُ الدَّعَاوِي مِنَ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْمُتَفَقِّرَةِ[1] وَارْتَكَبَ كُلُّ مِنَ الصِّنْفَيْنِ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ وَزَعَمَ كُلُّ صِنْفٍ أَنَّهُ عَلَى هُدًى وَغَيْرُهُ عَلَى ضَلَالٍ زَعْمًا لاَ أَصْلَ لَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَصَارَ كُلُّ صِنْفٍ يَزْرِي[2] صَاحِبُهُ وَيُسْخِرُهُ[3] وَيَدَّعِي لِنَفْسِهِ مَزِيَّةً[4] وَالْكُلُّ ضَلاَلٌ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ بِوَاسِطَةِ نُفُوسِهِمْ أَوْقَعَ عَلَيْهِمُ الْمُقَاطَعَةَ وَالْمُدَابَرَةَ وَالْمُحَاسَدَةَ وَقَدْ نُهُوا عَنْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ طَلَبُ الرِّيَاسَةِ لأَنَّ أَمْرَهُمْ كُلَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى قَلْقَلَةِ اللِّسَانِ[5] الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ عَلَى ابْنِ آدَمَ اهـ.

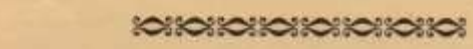

(١) هكذا في نسخة (ب ج) على وزن متفعل وفي نسخة (أ) على وزن مفتعل وهو خطأ.

(٢) يزري: - زرى يزري أى أدخل عليه عيبا وهو التهاون.

(٣) يسخره: سخرة وهو هزء.

(٤) كما كان المسلمون اليوم من الأحزاب ودعاويهم الدينية وكل حزب يحتقر صاحبه، وبعضهم يكفرون بعضا أو من ليس فيهم.

(٥) تشبيه عن اضطراب أعمالهم.

الباب الثاني

في شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

واعلم أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر محمودان كتابًا وسنَّة وإجماعًا لكنْ بشروطه قال ابنُ رُشد[1]: ذلك واجبٌ على كلِّ مُسلم بثلاثة شروط: الأوَّل أن يكونَ عالمًا بالمعروف والمنكر. الثاني: أن يأمنَ من أنْ يؤدِّيَ إنكارُهُ إلى منكرٍ أكبرَ منهُ. الثالثُ: أنْ يعلمَ أو يغلبَ على ظنِّه أنَّ إنكارهُ المنكرَ مُزيلٌ لهُ، وأنَّ أمرهُ بمعروفٍ مؤثِّرٌ فيه وإلاَّ لم يجبْ، وإنْ عُدِمَ الشَّرطان الأوَّلان لم يجزْ أنْ يأمرَ ولا أنْ ينهى، وإنْ عُدِمَ الثالثُ فقطْ جازَ ولم يجبْ عليه اهـ.

ومِنْ عُلم المعروف والمنكر أنْ يعلمَ ما يأمرُهُ واجبُ الفعلِ اتفاقًا وما ينهى عنهُ واجبُ التَّرك اتفاقًا وإلاَّ فلا يأمرُهُ ولا ينهاهُ أمرَ الواجبِ ونهيَ الحرامِ بلْ على سبيلِ النُّصحِ والإرشادِ كما قالهُ غيرُ واحدٍ منَ العُلماء.

قالَ مُحمَّدُ بنُ يوسُفَ المواق[2] قالَ شيخُ الشيوخِ ابنُ لُبٍّ إذا كانَ عملُ النَّاسِ على قولِ بعضِ العُلماءِ فلا ينبغي إنكارهُ لا سيَّما إنْ كانَ

---

(١) ابن رشد: هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الإمام العالم المحقق زعيم الفقهاء، إليه مرجع المشكلات، مولده ٤٥٥، وتوفي ٥٢٠هـ.

(٢) محمد بن يوسف العبدوسي الغرناطي الشهير بالمواق، الزكي الفاضل المحقق، وخاتمة علماء الإندلس، له شرح على مختصر خليل سماه «تاج الإكليل» توفي في شعبان سنة ٨٩٧ هـ.

الخلافُ في كراهته اهـ. قالَ ابنُ الحاجِّ[1] في «فصل ينبغي للعالم» فإذا رأى من جلسائه قد خالفَ سنَّةً أو ارتكبَ بدعةً نهاهُ بلطفٍ وعلَّمهُ برفقٍ قالَ تعالى في التغيير على عدوِّه فرعونَ: ﴿فقولا لهُ قولاً ليِّنًا﴾[2] اهـ.

وقالَ البرزلي لمنكرِ الدُّعاء أدبارَ الصَّلوة يا هذا لم تسر بسيرة السَّلف في أنَّ الأمرَ بالمعروف يكونُ معروفًا قالَ اللهُ سبحانهُ وتعالى: ﴿فقولا لهُ قولاً ليِّنًا﴾[3] وهذا كانَ المأمورُ به واجبًا بإجماعٍ، والمنهيُّ عنهُ محرَّمًا بإجماعٍ، وأنتَ عمدتَ إلى مستحبٍّ[4] جائزِ التَّرك أو مكروه[5] جائزِ الفعلِ أو مباحٍ[6] وغيرِه خيرٍ منه وحلَّ[7] ذلك أو كلُّه مختلفٌ فيه ثمَّ صيَّرتَ كلَّ ذلكَ مناكيرَ اهـ.

قالَ ابنُ لُبٍّ ما حملَ منْ أنكرَ على إنكاره إلاَّ أنَّهُ أبصرَ ما أمامهُ ولَمْ

---

(١) ابن الحاج: هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج العالم المشهور بالزهد، والورع، والصلاح، الجامع بين العلم والعمل الكامل، وله مؤلفات منها: المدخل توفي سنة ٧٣٧ هـ.

(٢) سورة طه الآية (٤٤).

(٣) سورة طه الآية (٤٤).

(٤) المستحب: وهو المندوب ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

(٥) المكروه: ما يثاب على تركه ولا يعاقب على تركه.

(٦) المباح: ما لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

(٧) هكذا في نسخة (ب ج) بالحاء المهملة، وبالمعجمة في نسخة (أ) وهو خطأ. لا ومضمون الجملة تناول ما أجمع على تحليله أو تحريمه.

يَلْتَفِتْ إِلَى خَلْفِ وَرَائِهِ وَقَفَ عَلَى بَعْضِ مَسَائِلِ الْمَذْهَبِ وَلَمْ يَهْتَدِ لِوَاضِحِ سَبِيلِهَا وَلاَ شَعَرَ بِوَجْهِهَا وَدَلِيلِهَا وَلاَ عَلِمَ اخْتِلاَفَ الْعُلَمَاءِ فِي أَصْلِهَا وَلَمْ يُعْطِهَا مِنَ الْفَهْمِ وَالتَّأَمُّلِ حَقَّهَا وَرَأَى أَنَّ عَمَلَ النَّاسِ بِخِلاَفِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ فَهْمُهُ فَظَنَّ أَنْ لاَ عِلْمَ إِلاَّ مَا عَلِمَ وَأَنْ لاَ فَهْمَ دُونَ مَا فَهِمَ فَاسْتَحْقَرَ الْعَامَّةَ وَجَهَّلَ الْخَاصَّةَ وَرَأَى أَنَّهُ وَحْدَهُ عَلَى الْجَادَّةِ وَصَارَ فِي قِيَامِهِ عَلَى النَّاسِ بِالنَّكِيرِ كَمَا قِيلَ إِذَا جَذَبْتَهُ ثُمَّ أَرْسَلْتَهُ انْبَاضَ بِغَيْرِ تَوْتِيرِ وَحَادٍ[1] لَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ[2] اهـ

قَالَ أَحْمَدُ الزَّرُّوقُ[3] فَلاَ إِنْكَارَ فِي الْمُنْكَرِ بِالتَّعْنِيفِ وَالتَّوْبِيخِ وَغَيْرِ الْمَكْرُوهَاتِ كَذَلِكَ اهـ

وَقَالَ مَالِكٌ[4] رَحِمَهُ اللهُ خُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ النَّاسَ وَلَعَلَّهُمْ فِي سِعَةٍ. وَقَدْ تَبَيَّنَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَنْ كَمُلَتْ لَهُ شُرُوطُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ عَلَى الْعُمُومِ مِنْ

---

(١) هكذا في المتحد بإثبات «له» وسقطت في جميع النسخ وهو خطأ لوروده في المتحد.

(٢) هذا كله اضراب مثل قوله: إذا جذبته ... إلخ تشبيه إلى عدم قبول النصيحة ممن سلك هذا العمل هو عمل الإنكار فشبهه بالوتر القوس إذا رميه الرمي واستوانت ولم تنفذ. ثم شبه حماقته كمثل رجل ينتفخ بما لا يملك، أو لم ينتحل ما لا يحسنه، قال ابن سيده: انباض أي جذب القوس، والتوتير أي وتر شرعة القوس ومعلجها.

(٣) أحمد الزروق: تقدمت ترجمته.

(٤) مالك بن أنس بن عامر ولد سنة ٩٥ هـ الإمام الجليل المشهور في الفقه والحديث ويلقب بإمام دار الهجرة وتوفي في سنة ١٧٩هـ.

غَيْرِ مُوَاجِهَةِ أَحَدٍ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَى الخُصُوصِ فَلْيُغْلِظْ[1] مَا شَاءَ وَلْيَحْذَرْ مُخَالَفَةَ السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ كَإِقْنَاطٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَإِذَا كَانَ مُوَاجِهًا لِشَخْصٍ يُرِيدُ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ مَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ فَلْيَكُنْ عَلَى سَبِيلِ اللُّطْفِ وَالنَّصِيحَةِ لاَ عَلَى سَبِيلِ الغِلْظِ وَالفَضِيحَةِ.

وَإِنْ كَانَ مُخْتَلَفًا (فيه فَإِنْ كَانَ فَاعِلُهُ عَالِمًا فَلاَ يَتَعَرَّضُ لَهُ ذَلِكَ مَا لَمْ يَتَعَرَّضْ[2] لَهُ ذَلِكَ العَالِمُ)[3] بِدُعَائِهِ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ جَاهِلاً فَلْيُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِالنُّصْحِ وَالإِرْشَادِ بِأَنْ يُعَلِّمَهُ أَنَّ فِعْلَ هَذَا خَيْرٌ مِنْ تَرْكِهِ أَوْ تَرْكَهُ خَيْرٌ مِنْ فِعْلِهِ وَلاَ يُجَادِلُ أَحَدًا فِي ذَلِكَ.

قَالَ مَالِكُ بن أَنَسٍ[4] لَيْسَ هَذَا الجَدَلُ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ قَالَهُ فِي المَدْخَلِ[5]. وَقَالَ أَيْضًا قَالَ مَالِكُ بن أَنَسٍ لَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تُجَادِلَ عَنِ السُّنَّةِ وَلَكِنَّكَ تُخْبِرُهَا وَإِنْ قُبِلَ مِنْكَ وَإِلاَّ فَاسْكُتْ اهـ.

(١) هكذا في نسخة (أ) بالعين، وأما في نسخة (ب ج) بالعين المهملة وهو خطأ لان المصنف شبه الغلظة حيث قال: كالقناط من رحمة، والإقناط من الغلظة.

(٢) هكذا في نسخة (أ ب) على وزن تفعل وأما في نسخة (ج) بدون تاء المفاعلة. وما في نسخة (أ ب) أصح.

(٣) هكذا في نسخة (أ ج) بإثبات الجملة بين القوسين وسقطت باكملها في نسخة (ب).

(٤) مالك بن أنس: تقدمت ترجمته.

(٥) الإشبيلي بن أنس: تقدمت ترجمته.

البَابُ الثَّالِثُ

فِي أَقْسَامِ المُحْدِثَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ المُحْدِثَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ مُحْدِثٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ فَهَذَا بَاطِلٌ مَذْمُومٌ، ومُحْدِثٌ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ فَهَذَا لَيْسَ بِمَذْمُومٍ، قَالَهُ الإِشْبِيلِي[1]. وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ[2] فِي قَوْلِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ[3] رَحِمَهُ اللهُ وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَهُ المحدِثُونَ، مَا ذَكَرَهُ هُنَا لاَ يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ تُحْدَثُ لِلنَّاسِ أَقْضِيَةٌ بِقَدْرِ مَا أَحْدَثُوا مِنَ الفُجُورِ، لأَنَّ مَا هُنَالِكَ[4] مَحْمُولٌ عَلَى مَا أُسْنِدَ[5] إِلَى كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ أَوْ قِيَاسٍ وَمَا هُنَا مَحْمُولٌ عَلَى مَا لَمْ[6] يُسْتَنِدْ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ قَسَّمَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ العُلَمَاءِ البِدْعَةَ عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ إِلَى: وَاجِبَةٍ وَمَنْدُوبَةٍ وَمُبَاحَةٍ وَمَكْرُوهَةٍ وَمُحَرَّمَةٍ. فَمِثَالُ

---

(١) المدخل: كتاب تأليف الإمام أبو عبد الله ابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ رتب الكتاب في أبواب وفصول في الفقه والآداب وغيره.

(٢) أبو الحسن: هو أبو الحسن على بن أحمد الصعيدي العدوي الإمام الهمام شيخ مشايخ الإسلام إمام المحققين. توفي في رجب سنة ١١٨٩هـ.

(٣) الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الفقيه الحافظ الحجة إمام المالكية في وقته، واسع العلم كثير الحفظ والرواية إليه انتهت رئاسة الدين في الدنيا وإليه الرحلة من الآفاق. توفي ٣٧٦هـ.

(٤) هكذا في نسخة (ب ج) وأما في نسخة (أ) هكذا «هنالك».

(٥) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب ج) بزيادة تاء هكذا «استند».

(٦) هكذا في نسخة (أ) بحرف (لم) للنفي وأما في نسخة (ب ج) بحرف (لا).

الواجبة على الكفاية الإشتغال بعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة وكالتصنيف في جميع العلوم الشرعية النافلة[1] والكلام على الأسانيد والمتون[2] والجرح والتعديل[3]. والرد على المعتزلة[4] وكتابة القرءان في المصحف ووضع المذاهب وغير ذلك.

ومثال المندوبة، إحداث الربط[5] والمدارس. ومثال المباحة كالتوسع، في المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن. ومثال المكروهة كتطويل الثياب وتوسيعها والمبالغة في غلاء قيمتها، وتزيين الخيول، والدواب في غير القتال. ومثال المحرمة، فكالرفض[6] والإعتزال، ووضع المكوس[7] وتولية المناصب الشرعية لغير أهلها بالتوارث، أو

(١) هكذا في نسخة (ب ج) بالقاف وأما في نسخة (أ) بالفاء وهو خطأ.

(٢) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب) «المتوامين» ونسخة (ج) «المتوام» كلاهما خطأ.

(٣) الجرح والتعديل فن من فنون علم مصطلح الحديث بحيث يعرف به الفرق بين الثقة والضعيف من الرواة.

(٤) المعتزلة فرقة من الفرق الإسلامية ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ومن عقائدهم أنهم اتفقوا على أن كلامه تعالى مخلوق. ونعوذ بالله من الزيغ والضلال.

(٥) الربط: هو موضع يحترس للدفاع عن العدو، وهكذا على وزن (فعل) في جميع النسخ بدلا عن «رباط».

(٦) الرافضة فرقة من الفرق الإسلامية بدأت لما خرج زيد بن علي بن الحسن أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر فتلاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني!.

(٧) المكوس: دار يجبى به مال المارين للتجارة.

بالدَّراهم ونَحْو ذَلكَ قَالَ الفَاكهَاني[1] في شَرْح الرِّسَالَة بَعْدَ ذكْره مثَالَ مَا ذَكَرْنَا. فإذَا علمْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أنَّ مُرَادَ الشَّيْخ أبي مُحَمَّد[2] في هجْرَان ذي البدْعَة المحرَّمَة دُونَ كُلِّ مَا ذُكرَ منْ أقْسَام البدَع انْتَهَى. وقَالَ النَّوَوي[3] انَّ حَديثَ كُلُّ بدْعَة ضَلاَلَة منَ العَام المَخْصُوص[4] انْتَهَى. فَمَنْ عَملَ عَملاً ظَاهرًا أوْ بَاطنًا أصْلُهُ في كتَاب الله أوْ سُنَّة رَسُوله، أوْ عَمَل الصَّحَابَة فَهُوَ منْ أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، واخْتلاَفُ أهْل التَّقْوَى والمَذَاهب إنَّمَا هي بمَعْنَى اتِّسَاع وتَرْك الضِّيق والحَرَج لا بمَعْنَى الشَّتَات والفُرْقَة فإن النَّبيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ هُوَ إمَامُ الكُلِّ فَإنَّهُ عَلَيْه السَّلاَمُ هُوَ المَدينَةُ الجَامعَةُ لمَعَاني الدِّيَانَة كُلِّهَا ولاَ بُدَّ للمَدينَة منْ أبْوَاب إذْ لَوْ كُلِّفَ الكُلُّ انْ يَدْخُلُوا عَلَى بَاب وَاحد لَكَانَ الحَرَجُ والضِّيقُ والصَّحَابَةُ رَضيَ الله عَنْهُمْ أبْوَابُهَا. والعُلَمَاءُ الطُّرُقُ المُتَّصلَةُ إلَى الأبْوَاب فَمَنْ أخَذَ طَريقَتَهُمْ دَخَلَ مَدينَةَ الدِّين وَمَنْ خَالَفَ طَريقَهُمْ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلاَم منْ عُنُقه.

---

(١) هكذا في جميع النسخ - بإبن الفاكهاني - وهو خطأ والصحيح بدون كنية.

(٢) أبو محمد بن أبي زيد الإمام في مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة حتى سمي مالك الأصغر توفي سنة ٣٨٩ هـ.

(٣) النووي هو الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي أستاذ المتأخرين والداعي إلى سبيل السالفين ولد ٦٣١ وتوفي ٧٤٢ رحمه الله.

(٤) هذه قاعدة أصولية - من العام والخاص. والعام ما عم شيئين فصاعدا. وأما الخاص يقابل العام وهو غير شامل لشيء.

البَابُ الرَّابِعُ

في أصل شأن الصُّوفيَّة[1]

وَاعْلَمْ أَنَّ شَأْنَ الصُّوفيَّة، الإبْتِدَاءُ بِأَهْلِ الصُّفَّة[2] مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3] وَكَانُوا نَحْوَ أَرْبَعمائة، رَجُل لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسَاكِنُ بِالْمَدِينَة وَلاَ عَشَائِر[4] لاَ يَرْجُونَ إِلَى زَرْعٍ وَلاَ إِلَى ضَرْعٍ[5] وَلاَ إِلَى تِجَارَة وَكَانُوا يَحْتَطِبُونَ[6] وَيَرْضَخُونَ النَّوَى بِالنَّهَارِ، وَبِاللَّيْلِ يَشْتَغِلُونَ بِالعِبَادَة وَتَعَلُّمِ القُرْءَانَ وَتِلاَوَتِهِ وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يُوَاسِيهِمْ وَيَحُثُّ النَّاسَ عَلَى مُوَاسَاتِهِمْ وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ، وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ، وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ﴾[7] وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ[8] عَن

---

(١) الصوفية كما أفاد القشيري من طائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة.

(٢) أهل الصفة هم بعض الصحابة الذين خصصوا بمكان من جانب المدينة.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٧٣).

(٤) عشائر جمع عشيرة بمعنى ليس لهم أهل.

(٥) الضرع: لكل ذات ظلف أو خف. وضرع الشاة والناقة مدر لبنها والجمع ضروع. واضرعت الشاة.

(٦) يحتطبون: من حطب ما أعد من الشجر شوبا للنار.

(٧) سورة الأنعام: الآية (٥٢).

(٨) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إمام المحدثين المتوفى سنة ٢٥٦هـ رضي الله عنه.

أبي هُرَيْرَةَ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ إِمَّا إِزَارٌ، وَإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ رَبَطُوا فِي اعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ انْ تُبْدُوَ عَوْرَتُهُ، وَذَكَرَ الكِرْمَانِي[2] رَحِمَهُ اللهُ أن أَصْحَابَ الصُّفَّةِ زُهَّادُ الصَّحَابَةِ، فُقَرَاءُ، يَأْوُونَ إِلَى مَسْجِدِهِ «وكانوا يَقِلُّونَ في وَقْتٍ بِمَنْ يَمُوتُ وَبِمَنْ يَتَزَوَّجُ وَيَزِيدُونَ بِمن يقدم عليهم» والصوفية يشاكل حالهم حال اولئك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله[3] كَالصَّحْبِ فِي الصُّفَّةِ. وَقَالَ السُّهْرُوَرْدِي[4] فِي خُلَاصَةِ عَوَارِفِ[5]. لَمَّا تَقَدَّمَ زَمَانُ الرِّسَالَةِ وَانْقَطَعَ الوَحْيُ وَتَوَارَى النُّورُ المُصْطَفَوِيُّ، وَاخْتَلَفَتِ الآرَاءُ وَغَلَبَتِ الجَهَلَاتُ وَتُزُخْرِفَتِ الدُّنْيَا وَكَثُرَ خُطَّابُهَا تَفَرَّدَتْ طَائِفَةٌ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَأَحْوَالٍ سَنِيَّةٍ[6]. وَصَدَقَ فِي العَزِيمَةِ وَزُهْدٍ فِي الدُّنْيَا، أُسْوَةً بِأَهْلِ الصُّفَّةِ تَارِكِينَ لِلأَسْبَابِ مُتَبَتِّلِينَ إِلَى رَبِّ الأَرْبَابِ فَائْتَمَرَ لَهُمْ ذَلِكَ صَلَاحَ

---

(١) أبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر صحابي جليل أسلم عام خيبر، من المكثرين في الرواة توفي رضي الله عنه.

(٢) الكرماني هو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني، كان من أولاد الملوك، كبير الشان توفي قبل ثلاثمائة.

(٣) هذا بيان أحوال الصوفية أن جميع أمورهم في ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى.

(٤) هو شهاب الدين عمر السهروردي المتوفى سنة ٥٨٦هـ.

(٥) خلاصة عوارف اسم كتاب.

(٦) سنية: أي مرتفعة يعني الأحوال الشريفة.

الأعْمَال وَصفَاء الفُهُوم لقَبُول العُلُوم، فَالعِلمُ بِالله صِفَتُهُمْ، وَالتَّقْوَى شِعَارُهُمْ، وَالعِبَادَةُ حِلْيَتُهُمْ إلَى آخر مَا قَالَ.

وَقَال الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاس رَحِمَهُ الله في قَصِيدَته:

فَـقَـادَةُ الصُّـوفيِّ أَهْلُ الصُّـفَّـةْ

فِي زَمَنِ الرَّسُولِ فَـاعْـرِفْ وَصْـفَـهْ

كَـانُوا عَلَى التَّـجْـرِيد[1] عَـامِلِينَا

وَعَنْ سِـوَى الرَّحْمَنِ مُـعْـرِضِـينَا[2]

تَـخَـلَّقُـوا بِخُـلُقِ النَّبِي[3]

يَدْعُـونَ بِالغَـدَاةِ وَالعَـشِي[4]

قَـدْ خَرَجُوا، لله عَمَّـا اكْتَسَبُوا

فَكُلُّ صُـوفِيٍّ إِلَيْـهِمْ يُنْسَبُ

---

(١) التجريد: جرد الشيء أي قشره ويقال رجل أجرد لا شعر عليه. كناية على العمل لله.

(٢) أي الإعراض بمعنى أنهم امتنعوا بأنفسهم واجتنبوا عن كل ما سوى الله. و «معرضينا» هكذا بالألف لضرورة الشعر وسقطت الألف في نسخة (ج) هكذا «معرضين» وهو خطأ.

(٣) تخلقوا من الخلق بضم الخاء المعجمة أي امتثلوا هذه الطائفة بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) هو اقتباس للآية في سورة الأنعام، كما جاء وصفهم في الذكر الحكيم.

إِذَا فَشَأْنُ الْقَوْمِ لَيْسَ مُحْدَثًا

بَلْ كَانَ حَوَى فَوَجَدْنَاهُ غُثَا[1]

وَكَفَى الصُّوفِيَّ فِي التَّشَبُّهِ بِهَؤُلَاءِ، قَالَ السُّهْرُوَرْدِي[2]. فَالْمُتَشَبِّهُ بِالصُّوفِيَّةِ مَا اخْتَارَ التَّشَبُّهَ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ لِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمْ وَهُوَ مَعَ تَقْصِيرِهِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا هُمْ فِيهِ يَكُونُ مَعَهُمْ لِمَوْضِعِ إِرَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ[3] التَّشَبُّهُ بِهِمْ وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِتَنْبِيهِ رُوحِهِ لَمَّا تَنَبَّهَتْ لَهُ أَرْوَاحُ الصُّوفِيَّةِ، لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَمْرِ اللهِ يَكُونُ بِجَاذِبِ الرُّوحِ غَيْرَ أَنَّ الْمُتَشَبِّهَ مَحْبُوسٌ بِظُلْمَةِ النَّفْسِ وَالصُّوفِيُّ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ. وَمِنَ التَّشَبُّهِ بِالصُّوفِيَّةِ تَرْكُ زِينَةِ الثِّيَابِ وَطَلَبُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَكَرَاهَةُ مَجَالَسَةِ الْأَغْنِيَاءِ وَحُبُّ الْفُقَرَاءِ، قَالَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ[4] إِنْ أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِي فَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَثْرِعِي[5] ثَوْبًا حَتَّى

---

(١) غثاء هو ما يحمله السيل من القمش، كناية عن وجود كثير الخير.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) والضمير يعود إلى المتشبه بالصوفية أو كل من سلك إلى سلوكهم.

(٤) هي أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها، وكانت من المكثرين روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ٢٢١٠ من الأحاديث توفيت في المدينة ودفنت بالبقيع سنة ٥٨ هـ.

(٥) هكذا في نسخة (ب) بإثبات ياء المؤنثة المخاطبة، وسقطت في نسخة (أ ج) وهو خطأ لأن الضمير للمؤنثة.

ترقعيه. قيل لسلمان[1] الفارسي مالك لا تلبس الجديد من الثياب؟ فقال: وما للعبد وللثوب الحسن[2] فإذا اعتق فله عند الله ثياب لا تبلى أبدا انتهى. فالنبي صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد من الثياب صلى الله عليه وسلم.

(١) سلمان الفارسي: هو أبو عبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علماء الصحابة وزهادهم عاش ٢٥٠ سنة توفي سنة ٣٦ هـ.

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) وأما في نسخة (أ) كتب هكذا «وما للعبد والثوب الحسن» وهو خطأ.

البَابُ الخَامِسُ
فِي شَيْخِ التَّرْبِيَةِ وَشُرُوطِهِ

اعْلَمْ أَنَّ شَيْخَ التَّرْبِيَةِ هُوَ الظَّافِرُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ، الدَّاعِي إِلَى اللهِ، الْفَائِزُ بِوِلَايَةِ اللهِ الْمُنْقَطِعُ إِلَى اللهِ، الآخِذُ عَنِ اللهِ، الْقَائِمُ بِالآدَابِ مَعَ اللهِ، الدَّاعِي عِبَادَ اللهِ يَسْلُكُهُمْ طَرِيقَ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ حَتَّى يُوَصِّلَهُمْ إِلَى حَضْرَةِ مَعْرِفَتِهِ

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ:

وَإِنَّمَا الْقَوْمُ مُسَافِرُونَ ... لِحَضْرَةِ الْحَقِّ وَظَاعِنُونَ[1]

فَاقْتَفِرُوا فِيهِ إِلَى دَلِيلِ ... ذِي بَصَرٍ بِالسَّيْرِ وَالْمَنْقِلِ

قَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ثُمَّ عَادَا ... لِيُخْبِرَ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَفَادَا

وَجَابَ مِنْهَا الوَهْدَ[2] وَالأَكَامَا[3]

وَرَاضَ مِنْهَا الرَّمْلَ وَالرُّغَامَا[4]

---

(١) الظعن: ظعن، يظعن، ظعنا، أي ذهب وسار ومنه قوله تعالى: ﴿يوم ظعنكم﴾ والظعن سير البادية لنجعة أو حضور ماء، وقال سيبويه:-

«الظاعنون ولما ظعنوا أحدا ... والقائلون لمن دار نخليها»

(٢) الوهد: هو مكان المنخفض كأنه حفرة، والجمع أوهدٌ ووهدٌ ووهادٌ.

(٣) والاكم من الأكمة: تل، وقيل موضع أشد إرتفاعا والجمع أكُمٌ، أكْمٌ، أكَمٌ، إكامٌ، آكامٌ وآكُمٌ، وفي حديث الاستسقاء «... على الآكام والظراب ومنابت الشجر...».

(٤) الرغم: أي التراب ورغم، يرغَم، وفي الحديث أيضا: «إذا صلى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم، أي حتى يخضع ويذل ويخرج منه كبر الشيطان.

وَجَالَ فِيهَا رَائِحًا[1] وَغَادِيًا

وَسَارَ كُلَّ قَدْقَدٍ[2] وَوَادِيًا

وَعَلِمَ الْمَخُوفَ وَالْمَأْمُونَا وَالْجَدْبَ وَالأَنْهَارَ وَالْعُيُونَا

قَدْ قَطَعَ الْبَيْدَاءَ وَالْمَفَاوِزَ وَارْتَادَ كُلَّ حَابِسٍ وَحَاجِزَا

وَحَلَّ فِي مَنَازِلِ الْمَنَاهِلِ وَكُلُّ شُرْبٍ هُوَ فِيهِ نَاهِلِ

فَعِنْدَمَا قَامَ بِهَذَا الْخَطَبِ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ شَيْخُ الرَّكْبِ

فَاحْدَقُوا مِنْ حَوْلِهِ يَمْشُونَ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يُوزَعُونَ

فَرَتَّبَ الْقَوْمُ عَلَى مَرَاتِبِ مَا بَيْنَ مَاشٍ رَاجِلٍ وَرَاكِبِ

قَالَ أَحْمَدُ الزَّرُّوقُ[3] فِي شَرْحِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ أَمَّا كَوْنُهُمْ مُسَافِرِينَ فَمِنْ عَالَمِ الأَوْهَامِ إِلَى عَالَمِ الْحَقَائِقِ[4] وَهُوَ حَضْرَةُ الْحَقِّ أَيْ دَائِرَةُ وَلَايَتِهِ. وَقَوْلُهُ (دَلِيلٌ) أَيْ يُعَرِّفُهُمْ حَقِيقَةَ سُلُوكِ الطَّرِيقِ لِجَهْلِهِمْ مَوَارِدَ الطَّرِيقِ وَمَصَادِرَهَا. وَقَوْلُهُ (ذِي بَصَرٍ) أَيْ بِوُجُوهِ السَّيْرِ بِحَيْثُ يُمَيِّزُ مَنْ

---

(١) رائحا من اسم فاعل، والرواح رواح العشي وقيل الرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل.

(٢) قدقد أي الفلاة التي لا شيء بها، وقيل الأرض الغليظة ذات الحصى أو المكان الصلب قال الشاعر:-

ترى الحرة السوداء يحمر لونها ◦ ويبقر منها كل ربع وقدقد

(٣) أحمد الزروق: تقدمت ترجمته ص ٣.

(٤) عالم الحقائق: هو أعلى درجة عند ما حصل العبد إلى معرفة الحقيقة وهو للنواجص.

يفتقرُ إلى الرِّفق ومَنْ يحتملُ الحزْمَ، ومَنْ يقبلُ العملَ على العزْمِ، ومَنْ يتراجعُ أحوالُه ومَنْ يقدرُ على المشي راكبًا، ومَنْ لا يقدرُ إلا راجلاً، ومَنْ يصلُحُ للرُّكوبِ مرَّةً وللمشْيِ أخرى، ومَنْ يكونُ الرُّكوبُ أولى به منْ غيرِه وعكسُه[1] وقولُه[2] **(قدْ سلكَ الطريقَ... إلخ)**[3] أي معتمدًا في معرفته ذلك على العلم والتجربة لأنَّ العملَ على الدلائلِ دونَ سلوكِ الطريقِ غيرُ كافٍ في تعريفه لعدمِ الإحاطةِ به عينًا ولا يوثقُ به منْ حصولِ الإلتباسِ يومًا وليسَ الخبرُ كالعيانِ. وقولُه[4] **(وجابَ)** أي دخلَ منَ الطريقِ **(الوهْدُ)** أي المطمئنُّ الذي يستترُ به الحالُ[5] ولا يظهرُ إلا لمنْ معهُ. **(والاكامُ)** الكُدى أو الربا المرتفعةُ التي يظهرُ فيها كلُّ منْ حلَّها لكلِّ منْ ينظرُ إليه. **(والرُّغامُ)**[6] التُّرابُ وهو كثرتُه وذلك حابسٌ عنْ إسراعِ السيرِ **(والفدْفدُ)** كنايةٌ عنِ الصفاتِ اللازمةِ وهي المتقدمةُ **(والوادُ)**[7]

---

(١) وعكسه معنى: ومن يكون المشي أولى به من غيره.

(٢) هكذا في نسخة (ب) أما في نسخة (أ ج) بدونها.

(٣) هكذا في نسخة (ب ج) بزيادة (الخ) وسقطت في نسخة (أ).

(٤) هكذا في نسخة (ب) وأما في نسخة (أ ج) بدون واو من «وقوله» خطأ الكاتب.

(٥) هكذا في نسخة (ب ج) بدون تكرار لفظ «به» وإثباته في نسخة (أ) هكذا «به الحال به» وهو خطأ.

(٦) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب ج) بالراء المعجمة هكذا «والزعاما» وهو خطأ.

(٧) هكذا في نسخة (ب ج) بالتباث الكلمة وسقطت في نسخة (أ) وهو خطأ الكاتب.

كنايةٌ عن المُعارَضة وهيَ المذكورة في قوله **(وَعَلِمَ المَخُوف)** إلى آخره فالمخوفُ لا يصعدُ فيه الأكامُ كالأمُور المختصَّة **(وَالمأمُونُ)** كالأمُور العامَّة، كالفرائض المعلُومَة والمحرَّمات المشهُورة **(وَالجَدْبُ)** الذي لا نباتَ فيه من علم أو عمَل أو حال **(وَالأنهَارُ)** إلى العُلوم الجارية التي ينتفعُ بها الخاصُّ والعامُّ. **(وَالعُيُونُ)** ينابيعُ الحكمة والمعرفة، وفائدةُ معرفة ذلك أن يتزوَّدَ من المُخصَب للمُجدِب ويتروَّى من أنهاره وعُيونه ما يكفيه لنفسه ولمَن معهُ دُونَ زيادة في الثقل ولا تفريط في المحمل وقولُه **(قَدْ قَطَعَ)** إلى آخره يعني أنَّهُ يعرفُ ذلكَ مُباشرةً لا تعليمًا وقياسًا **(وَالبَيْدَاء)** الصحراء **(وَالمَفَاوِزُ)** المواضعُ البعيدةُ ويعرفُ **(كُلُّ حَابِسٍ)** كالشيطان **(وَحَاجِزٍ)** كالنفس **(وَمَنَازِلِ المَنَاهِلِ)** يعرفُ المواضعَ التي تصلُحُ للنُّزول فيها من الرَّعاء والغَيبة عن العدُوِّ وفي كُلِّ شُرب يُعلَمُ الحلوُ والمالحُ ليتزوَّدَ من هذا أو يدَعُ الآخرَ[1] فلمَّا حصَلَ لهُ في نفسه صحَّ أن يدُلَّ عليه عندَ تعلُّقه به نُصحًا وقيامًا لحقِّ الله، وهذه الأوصافُ هيَ المُوجِبةُ لهُ أن تكونَ شيخًا مُربِّيًا من القوم، وإن لم يكُنْ واسعًا في العلم الظاهر إذا كانَ عندهُ من العلم ما يكفيه وعلامةُ تحقُّقه بذلك ثلاثةُ أشياء استقامةُ ظاهره[2] بالتقوى. واتِّباعُ السُّنَّة في غالب أحواله، ثُمَّ لا يضرُّ[3]

---

(١) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب ج) بلفظ «الأخرة» وهو خطأ للكاتب.

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) وأما في نسخة (أ) «ظهره» وهو خطأ.

(٣) هكذا في نسخة (ب ج) بدون كاف «ضمير المخاطب» وثبوت الكاف في نسخة (أ).

مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنْ نَقْصِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَارًّا لَهُ فِي نَفْسِهِ. وَإِنْ تَسُرْ[1] فِيكَ إِشَارَتُهُ وَتَتَّسِعُ لَكَ بِالْمَعَانِي عِبَارَتُهُ[2] انْتَهَى.

وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي الشُّرُوطِ. ذَوْقٌ صَرِيحٌ **(وَالْمَاشِي)** إِشَارَةً إِلَى صَاحِبِ الْأَعْمَالِ وَالْحَرَكَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ **(وَالرَّاكِبِ)** إِشَارَةً إِلَى الْمَحْمُولِ بِحَالٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ فِكْرٍ فَكُلٌّ[3] بِقَدْرِ حَالِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ[4] يَجِبُ عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِشَيْخٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسْتَاذٌ فَلَا يُفْلِحُ أَبَدًا.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسْتَاذٌ فَإِمَامُهُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الشَّجَرَةُ إِذَا نَبَتَتْ بِنَفْسِهَا مِنْ غَيْرِ غَارِسٍ فَإِنَّهَا تُورِقُ وَلَا تُثْمِرُ، كَذَلِكَ الْمُرِيدُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسْتَاذٌ فَإِنَّهُ يَعْبُدُ هَوَاهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ[5]: وَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ مِنْ صُحْبَةِ شَيْخٍ

---

(١) هكذا في نسخة (ب) بحرف علة، وإثباته في نسخة (أ ج) وهو خطأ.

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) بالجمع «عبارته»، والإفراد في نسخة (أ) عبارته.

(٣) هكذا في نسخة (أ ج) بإثباتها أو سقطت في نسخة (ب).

(٤) القشيري: هو أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك شيخ خراسان في عصره زهدا وعلما في الدين، وإقام بنيسابور، وتوفي بها سنة (٣٦٥هـ). وله مصنفات أشهرها الرسالة القشيرية علم التصوف.

(٥) ابن عباد: هو أبو عبد الله محمد بن الشيخ إبراهيم الرندي المعروف بابن عباد شيخ العلماء والزهاد العارف بالله المحقق ذو العلوم الباهرة والكرامات الظاهرة. ألف في التصوف تآليف عجيبة منها: شرح الحكم العطائية، ورسائل الكبرى وصغرى مولده ٧٣٣هـ توفي ٧٩٢هـ.

مُحَقِّق مُرْشِد قَدْ فَرَغَ مِنْ تَأْدِيبِ نَفْسِه وَتَخَلَّصَ مِنْ هَوَاهُ فَيُسْلِمُ نَفْسَهُ إِلَيْه، وَيَلْتَزِمُ طَاعَتَهُ، وَالإِنْقِيَادُ لَهُ فِي كُلِّ مَا يُشِيرُ بِه مِنْ غَيْرِ ارْتِيَابٍ وَلاَ تَأْوِيلٍ وَلاَ تَرَدُّدٍ انْتَهَى.

قُلْتُ[1] وَكُلُّ هَذَا فِي طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى وَظَائِفِهِمْ[2] وَرِيَاضَتِهِمْ[3] وَكُشُوفَاتِهِمْ[4].

وَأَمَّا تَأْدِيبُ نَفْسِه بِأَخْلاَقِ القُرْءَانِ وَالسُّنَّةِ فَلِسَانُ العِلْمِ كَافٍ فِيه وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا مَنْ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ فَلاَ بُدَّ لَهُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالعُلَمَاءِ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِي[5] لَوْ أَنَّ رَجُلاً جَمَعَ العُلُومَ كُلَّهَا، وَصَحِبَ طَوَائِفَ النَّاسِ لاَ يَبْلُغُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ إِلاَّ بِالرِّيَاضَةِ مِنْ شَيْخٍ. وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَدَبَهُ مِمَّنْ يُرِيهِ عُيُوبَ أَعْمَالِه وَرُعُونَاتِ نَفْسِه فَلاَ يَجُوزُ الإِقْتِدَاءُ بِه فِي المُعَامَلاَتِ.

وَقَالَ أَبُو مَدْيَن[6]: مَنْ لَمْ يَأْخُذِ الأَدَبَ مِنَ المُتَأَدِّبِينَ أَفْسَدَ مَنْ يَتْبَعُهُ انْتَهَى.

---

(١) هذا قول المصنف رحمه الله.

(٢) وظائفهم.

(٣) رياضتهم.

(٤) كشوفاتهم. كلها اصطلاحات الصوفية لها معان نخصها بطول ذكرها.

(٥) أبو علي الثقفي: هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، إمام الوقت متصوفا زاهدا عابدا توفي في ٣٢٨ هـ.

(٦) أبو مدين: هو أبو عبد الله محمد بن أبي مدين التلمساني الفقيه الإمام العالم الفاضل توفي ٩١٥هـ.

البابُ السادسُ

في الفرق بين العالم والناقل

وَاعلَم[1] أنَّ العلمَ علمَانِ علمُ اللِّسَانِ وهُوَ حُجَّةٌ عَلَى ابنِ آدَمَ. وعِلمُ القَلبِ فذلكَ العِلمُ النَّافِعُ.

قَالَ الشَّيخُ أبُو القَاسِمِ البجائي رَحِمَهُ اللهُ. والفَرقُ بَينَ علمِ اللِّسَانِ وعِلمِ القَلبِ، أنَّ علمَ اللِّسَانِ لاَ يُورِثُ الخَشيَةَ ولَوْ كَثُرَ. فلذلكَ لاَ يُسمَّى صَاحِبُهُ عَالِمًا حَقِيقَةً بَلْ نَاقِلاً. وعِلمُ القَلبِ هُوَ الَّذي يُورِثُ الخَشيَةَ فيه فمثلُ مَنْ كَانَ عَالِمًا باللِّسَانِ حَامِلاً بالقَلبِ كمثلِ مَنْ يَستَصبِحُ سِرَاجَهُ عَلَى ظَهرِ البَيتِ في اللَّيلِ المُظلِمِ فَاستَنَارَ السِّرَاجَ لِمَنْ في السِّكَكِ[2] مِنَ المَارِّينَ وبَقِيَ أهلُ البَيتِ في الظُّلمَةِ مُتَحَيِّرِينَ فَجَوفُ البَيتِ أولَى بالسِّرَاجِ، فَمَا تَعَلَّقَتْ[3] المِدحَةُ بالعُلَمَاءِ إلاَّ بوُجُودِ الخَوفِ والخَشيَةِ مِنَ اللهِ قَالَ في تَلقِينِ الفَوَائِدِ[4] وكَانَ سَيِّدُنَا، أبُو مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ إذَا ذُكِرَ أحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ وَقتِهِ ممَّنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مُقتَضَى العِلمِ يَقُولُ فُلاَنًا. نَاقِلاً خَوفًا مِنْهُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى مَنصَبِ العِلمِ أنْ يَنصِبَ إلَى غَيرِ أهلِهِ، وخَوفًا

---

(١) هكذا في نسخة (أ) وسقطت الكلمة «واعلم» في نسخة (ح) كلاهما خطأ.

(٢) السكك: هو الطريق المستوية.

(٣) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب ح) تعلقت وهو خطأ إذ هو بعيد من المعنى.

(٤) تلقين الفوائد: اسم كتاب.

مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذِبًا أَيْضًا لأَنَّ[1] النَّاقِلَ لَيْسَ بِعَالِمٍ فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا هُوَ صَانِعٌ مِنَ الصُّنَّاعِ كَالْخَيَّاطِ، وَالْحَدَّادِ هَذَا إِذَا كَانَ نَقْلُهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي الصِّحَّةِ، وَإِلاَّ كَانَ دَجَّالاً، فَيُسْتَعَاذُ بِاللهِ[2] مِنْهُ لأَنَّ الْعِلْمَ كَمَا قَالَ مَالِكٌ[3] لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَاتِ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقُلُوبِ انْتَهَى.

وَقَالَ الْحَطَّابُ[4] فِي مَوَاهِبِ الْجَلِيلِ[5] وَكَانَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: طَلَبُ الْعِلْمِ حَسَنٌ مِمَّنْ رُزِقَ خَيْرَهُ وَلَكِنْ انْظُرْ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ إِلَى حِينِ تُمْسِي فَالْزَمْهُ انْتَهَى.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِي رَحِمَهُ اللهُ: صَلاَحُ الْقَلْبِ الْعِلْمُ[6]، أَيْ أَعْظَمُ الْمَصَالِحِ، وَفَسَادُهُ أَشَدُّ الْمَفَاسِدِ فَلاَ بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا بِهِ صَلاَحُهُ لِيُطْلَبَ، وَمَا بِهِ فَسَادُهُ لِيُجْتَنَبَ، فَالَّذِي بِهِ صَلاَحُهُ، الْعِلْمُ بِاللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَتَصْدِيقُ رُسُلِهِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِ اللهِ. وَالْعِلْمُ بِسَمَاعِ الْقَلْبِ مِنْ خَوَاطِرِهَا، وَمَحْمُودِ أَوْصَافِهَا وَمَذْمُومِهَا وَأَعْمَالِهِ وَهُوَ التَّحَلِّيَةُ بِمَحْمُودِهَا وَالتَّخَلِّيَةُ عَنْ مَذْمُومِهَا وَمُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَى أَوْ شُهُودِهِ بِحَسَبِ الإِسْتِعْدَادِ. وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الرَّوْضَةِ[7]. مُطْلَقُ

---

(١) هكذا في نسخة (أ ج) وفي نسخة (ب) بدون لام «أن الناقل».

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) وأما في نسخة (أ) بزيادة لام قبل الباء «فليستعاذ».

(٣) مالك: هو مالك بن أنس بن مالك أبي عامر ولد سنة ١٧٩.

(٤) الحطاب: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب.

(٥) مواهب الجليل: شرح على مختصر خليل لابن إسحاق.

(٦) يعني علم الباطن.

(٧) كتاب الروضة: اسم كتاب.

اسم العُلَمَاء في عُرْف الشَّرْع (يَنْصَرِفُ إِلَى عُلَمَاء الدِّين وَغَالِبُهُ يَتَنَاوَلُ الْفُقَهَاءَ فِي عِلْمِ الأَحْكَامِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي مَعْرِفَةِ)[1] الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. انْتَهَى.

وَقَالَ الْغَزَالِي[2] كَانَ اسْمُ الْفِقْهِ فِي الْعَصْرِ الأَوَّلِ مُطْلَقًا عَلَى طَرِيقِ الآخِرَةِ، وَمَعْرِفَةُ آفَاتِ النُّفُوسِ، وَمُفْسِدَاتِ الأَعْمَالِ بِقُوَّةِ الإِحَاطَةِ بِحَقَارَةِ الدُّنْيَا وَشِدَّةِ التَّطَلُّعِ إِلَى نَعِيمِ الآخِرَةِ وَاسْتِيلاَءِ الْخَوْفِ عَلَى الْقَلْبِ انْتَهَى. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[3] وَمَا بِهِ الإِنْذَارُ وَالتَّخْوِيفُ هُوَ هَذَا الْفِقْهُ دُونَ تَفْرِيعَاتِ[4] الطَّلاَقِ، وَاللِّعَانِ، وَالسَّلَمِ وَالإِجَارَةِ فَذَلِكَ لاَ يَحْصُلُ بِهِ الإِنْذَارُ وَالتَّخْوِيفُ بَلِ التَّجَرُّدُ لَهُ عَلَى الدَّوَامِ يُفْنِي الْقَلْبَ، وَيَنْزِعُ الْخَشْيَةَ مِنْهُ كَمَا يُشَاهَدُ مِنَ الْمُتَجَرِّدِينَ لَهُ، وَقَدْ قَالَ

---

(١) هكذا في نسخة (أ ج) هذه الجملة بين القوسين وسقطت في نسخة (ب) والجملة: (ينصرف إلى علماء الدين وغالبه يتناول الفقهاء في العلم الأحكام المجتهدين في معرفة...).

(٢) الغزالي: هو الإمام العلامة الزاهد، العبد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي صاحب المؤلفات الجليلة، ولد ٤٥٠ وتوفي ٥٥٥هـ ودفن بطوس.

(٣) آية من القرآن: سورة التوبة آية (١٢٢)، وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون».

(٤) هكذا في نسخة (ب) وهو أصح وأما في نسخة (أ) هكذا (التعريفات) وهو خطأ وفي نسخة (ج) أبعدها من المعنى وهي «تعريفات».

تَعَالَى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[1] انتهى. وقَالَ ابْن الفاكهاني[2] رَحِمَهُ اللهُ فَفي شَرْحِ الرِّسَالَةِ عِنْدَ قَوْلِ أَبِي مُحَمَّد[3] وَالرِّيَاءُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ. ولَوْ أَنَّ هَذَا الكِتَابَ غَيْرُ مَوْضُوعٍ لِبَسْطِ هَذِهِ العُلُومِ، لَذَكَرْنَا مِنْهَا بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ النَّاسُ ولَكِنْ مَوْضِعُهَا كُتُبُ التَّصَوُّفِ، ومَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ، ومَا أَغْنَاهُمْ[4] عَنْ تَعَلُّمِ كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِ القِرَاضِ، والمُسَاقَاتِ، والإِجَارَاتِ[5] الَّتِي لاَ تَكَادُ تَقَعُ لَهُ مَرَّةً فِي العُمُرِ بِخِلاَفِ مَا هُوَ مُلْتَبِسٌ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وسُكُونٍ، آنَاءَ اللَّيْلِ وأَطْرَافَ النَّهَارِ، ولَكِنَّهُ عِلْمٌ لاَ رِيَاسَةَ فِيهِ بَيْنَ الأَقْرَانِ ولاَ مَالَ عِنْدَ الأَغْنِيَاءِ: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[6] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[7] الآية انتهى بلفظه.

قَالَ السُّنُوسِي[8]. ولَو اشْتَغَلَ الإِنْسَانُ بِمَا يَخُصُّهُ أَوَّلاً مِنْ وَاجِبٍ،

---

(١) الآية من سورة الأعراف (١٧٩).

(٢) هكذا في جميع النسخ بزيادة «ابن».

(٣) هو أبو محمد بن أبي زيد تقدمت ترجمته في صفحة.

(٤) هكذا في نسخة (ب) بضمير جمع الغائب وأما في نسخة (أ ج) بالإفراد ضمير الغائب وهو خطأ لعود الضمير إلى الناس.

(٥) هكذا في نسخة (أ ب) وهي من الإجارة، وأما في نسخة (ج) بزيادة راء بين الهمزة والجيم هكذا «والإجارات» وهو خطأ للكاتب.

(٦) الآية من سورة القصص (٦٩).

(٧) الآية من سورة الفرقان (٤٣).

(٨) السنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر ٨٩٥هـ / ١٤٩٠هـ من كبار علماء التوحيد من شمال إفريقيا ألف كتابا في فن التوحيد، اشهرها ثلاثة (١) عقيدة أهل التوحيد. (٢) أم البراهين. (٣) عقيدة الوسطى.

وَيَتَعَلَّمُ أَمْرَاضَ قَلْبِهِ وَدَائِهَا، وَالتَّفَقُّهَ فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَكَانَ أَزْكَى لِعِلْمِهِ(١) وَلَكِنَّ النُّفُوسَ الرَّدِيَّةَ وَأَخَوَاتِهَا مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ لَمْ تَتْرُكِ الْعَقْلَ يَنْفُذُ لِوَجْهِ مَصْلَحَتِهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ(٢).

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ(٣): الْفَقِيهُ مَنِ انْفَقَأَ(٤) الْحِجَابُ عَنْ عَيْنَيْ قَلْبِهِ، فَمَنْ فَقَهَ عَنِ اللهِ الإِيجَادَ(٥)، وَأَنَّهُ مَا أَوْجَدَهُ إِلاَّ لِطَاعَتِهِ(٦)، وَمَا خَلَقَهُ اللهُ إِلاَّ لِخِدْمَتِهِ، كَانَ هَذَا الْفِقْهُ سَبَبًا لِزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا وَإِقْبَالِهِ عَلَى

---

(١) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب ج) كتب هكذا «لعلمه» وهو خطأ لأن الجملة تتناول عن العلم

(٢) هكذا في نسخة (ب) بحقوله كاملة، ونسخة (أ) سقطت «العلي العظيم» ونسخة (ج) سقطت الكلمة الأخيرة فقط «العظيم».

(٣) لم أطلع عليه شيئا.

(٤) انفقأ على وزن انفعل وأصل الكلمة فقأ بمعنى شق يقال فقأ العين وفي الحديث «لو أن رجلا اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقؤوا عينه لم يكن عليهم شيء» وكانت العرب في الجاهلية إذا بلغ ابل الرجل منهم الفا فقأ عين بعيرها منها وسرحه حتى لا ينتفع به، قال الفرزدق لجرير:

ولست ولو فقأت عينك واحدا * أبا لك إن عد المساعي كدارم

(٥) يعني أن من داوم التفكير إلى أسرار خلقه وإلى سائر الموجودات رزقه الله سبحانه وتعالى التفقه في دين الإسلام مبني على التفكر ولذا ينزل القرآن ويدعو الإنسان إلى التفكير في كثير من الآيات.

(٦) ويعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلقه لطاعته وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون...﴾ الآية.

الأخرى[1]. وإهماله لحظوظ نفسه، واشتغاله بحقوق سيده متفكرًا في المعاد قائمًا بالإستعداد انتهى. وأما الفقيه الخالي[2] مما ذكر المنهمك في هواه فمعاذ الله أن يقول له وارث الأنبياء. وفي الحكم[3]. العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك. والعلم النافع هو الذي يبسط في شعاعه[4] ويكشف عن القلب قناعه[5]، انتهى.

وإنما ينال ذلك بالعمل بما علم، وفي الحديث «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

وقد سئل الشيخ عز الدين[6] عن معنى هذا الحديث فأجاب بأن

---

(١) والجملة بأكملها توضح أن الفقيه من دان نفسه لطاعة ربه سرًا وعلانية. قال عمر رضي الله عنه: ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض.

وقال أبو سليمان الدارني رحمه الله القلب بمنزلة القلنسوة المصروبة، حولها أبواب معلقة فأي باب فتح له عمل فيه.

(٢) الفقيه الخالي هنا من تفقه مطلقا بدون زهد. كما قيل: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق. فيكون منهمكا في هواه والعياذ بالله من ذلك.

(٣) الحكم - تأليف ابن عطاء الله السكندري رحمه الله - ص ٤٣ راجعه.

(٤) شعاع: من شعع، الشعاع ضوء الشمس، وقيل انتشار ضوئها، قال القيس ابن خطيم:

«طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ٭ لها نفسع لولا الشعاع إضائها»

(٥) قناع: أصله ما تقنع به المرأة رأسها، والمقصود هنا غطاء القلب، وفي حديث بدر: «... فانكشف قناع قلبه فمات ...».

(٦) الشيخ عز الدين: تقدمت ترجمته.

مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ أَوْ مَنْدُوبَاتِهِ وَاجْتِنَابِ مُحَرَّمَاتِهِ، وَمَكْرُوهَاتِهِ أَوْرَثَهُ اللهُ مِنَ العِلْمِ الإِلْهَامِي[1] مَا لَمْ يَعْلَمْهُ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَتَّخِذُ جَاهِلاً وَلِيًّا فَكُلُّ[3] الأَوْلِيَاءِ عَالِمُونَ بِاللهِ وَبِأَحْكَامِهِ، فَأَمَّا مَنِ اشْتَغَلَ مِنْهُمْ فِي بِدَايَتِهِ بِتَحْصِيلِ العِلْمِ الظَّاهِرِ فَلاَ إِشْكَالَ فِي أَمْرِهِ وَأَمَّا مَنْ لَمْ تُعْرَفْ لَهُ مُخَالَطَةُ العُلَمَاءِ وَلاَ الرِّوَايَاتُ مِنْهُمْ فَتُحْمَلُ أَنْ يَكُونَ لَقِيَ شَيْخًا عَارِفًا فَيَتَعَلَّقُ مِنْهُ وَلَوْ لَحْظَةً[4] مَا لاَ يَتَلَقَّاهُ مَنْ لَمْ تُصْحِبْهُ العِنَايَةُ الإِلَهِيَّةُ فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ لأَنَّ الزَّمَانَ يَطْوِي لَهُمُ المَكَانَ، فَإِذَا تَلَقَّى مِنَ الشَّيْخِ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ وَكُلِّيَاتِهَا وَأُمَّهَاتِ المَسَائِلِ، وَفَهِمَ حِكْمَةَ اللهِ فِي الأَحْكَامِ نَوَّرَ اللهُ بَصِيرَتَهُ وَرَفَعَهُ[5] لإِدْخَالِ الجُزْئِيَّاتِ تَحْتَ الكُلِّيَّاتِ

---

(١) العلم الإلهامي: وهو علم ألهمه الله إلى الخاص لتقربهم إليه وهو نوع من أنواع الكرامة.

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) الآية بأكملها، وسقطت الجملة «وإن الله لمع المحسنين» في نسخة (أ) وهو خطأ للكاتب.

(٣) هكذا في نسخة (أ ج) هكذا «فكل الأنبياء» وأما نسخة (ب) هذا «فكل العلم الأولياء بزيادة «العلم» بين الجملة وهو خطأ.

(٤) هكذا في نسخة (أ) بإثبات حرف (لو) وبدونها في نسخة (ب ج) وهو خطأ.

(٥) هكذا في نسخة (ب ج) بدون تاء التأنيث الساكنة، وإثباتها في نسخة (أ) حيث يعود ضمير التأنيث إلى «البصيرة» والأول أصح بحيث يكون عطفا لفعل نور والفاعل هو الله.

وتصرف منها كما يتصرف علماء الظاهر بالقياس[1] والإجتهاد[2] مع كونهم مشتغلين بما يغنيهم ومن قرأ العلم لنفسه فقليل منه يكفيه، وأما الذي يقرأ العلم ليتال به الرياسة والتعظيم فقد يقرأ زمنا طويلاً ولم يفهم مسئلة في ما قرأ غير قلقلة اللسان قال بعض السلف:

شكوت إلى وكيع[3] سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يعطى لعاصي[4]

والحاصل أنه لا عبرة بالفقهاء المتجردين لمعرفة الأحكام إلا بحسن النية فيه والإستقامة، ولا مدح بمجرد معرفة الأحكام والتظهر من الأخلاق الذميمة ولا مدح بمجرد معرفة ذلك انتهى.

والكلام على هذا طويل الذيل[5]، ممتد السيل[6] وقد رويت فيه

---

(١) القياس: وهو رد الفعل إلى الأصل بفعلة تجمعها في الحكم.

(٢) الإجتهاد: وهو بذل الوسع في بلوغ الغرض، وهو معنا عند الأصوليين.

(٣) وكيع: هو وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي أبو شعبان العراقي حافظ عصره توفي سنة ١٩٧هـ.

(٤) والبيتان أصله في تعليم المتعلم تأليف الشيخ الزرنوجي، لكن البيت الثاني بدون هذا اللفظ وهو هكذا: فإن الحفظ فضل من الله * وفضل الله لا يعطى لعاصي.

(٥) طويل الذيل.

(٦) ممتد السيل. [كلاهما كناية لكثرة الكلام خلال الموضوع].

أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ[1] وَلَكِنْ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَقَلْبَكَ عَنْ أَهْلِ الْعَصْرِ وَتَعَلَّمْ لِنَفْسِكَ وَلاَ تَذْكُرْ غَيْرَكَ وَلاَ تُسِيءِ الظَّنَّ بِهِ فَلِذَلِكَ أَيْضًا زَلَّةٌ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَقْصِدِنَا وَإِنَّمَا غَرَضُنَا تَنْبِيهُ الْجَاهِلِ الَّذِي يَظُنُّ اسْمَ الْعُلَمَاءِ يُطْلَقُ عَلَى الْمُتَجَرِّدِينَ لِمَعْرِفَةِ الأَحْكَامِ، وَلَوْ لَمْ يَخَافُوا اللهَ أَوْ الْمُتَجَرِّدِينَ لِعِلْمِ الآلاَتِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ لِعِلْمِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ وَالتَّفَهُّمِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِهِ حَتَّى يُسَمَّى كُلُّ نَاقِلٍ عَالِمًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَقَالَ الإِمَامُ اللَّوْلُوِي[2] فِي أُرْجُوزَتِهِ[3]:

الْعِلْمُ أَصْلُ الدِّينِ وَالإِحْسَانِ

طَرِيقُ[4] كُلِّ الْخَيْرِ وَالْجِنَانِ

وَهُوَ مَعَ التُّقَى هُدًى وَنُورُ

وَهُوَ مَعَ الزَّيْغِ[5] بَلاَ وَجُورُ

---

(١) هكذا في نسخة (ب ج) بدون تكرار كلمة «كثيرة» وتكرارها في نسخة (أ) وهو خطأ الكاتب.

(٢) الإمام اللؤلؤي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المعروف باللؤلؤي الفقيه الأديب الشاعر الإمام الحافظ وكان من أهل الحس الصادق والرأي المصيب.

(٣) أرجوزة: من الرجز وهو بحر من بحور الشعر فنظمها في هذا البحر. ولذا سمي بالرجز.

(٤) هكذا في نسخة (أ) بلفظ «طريق» وأما في نسخة (ب ج) بلفظ «طويل» وهو خطأ لبعد المعنى.

(٥) الزيغ: الانحراف عن الحق.

فَـــالعِلْمُ إنْ زَادَ ولَم يَزْدَدْ[1] هُدَى
صَـاحِبُـهُ لَمْ يَسْـتَـفِـدْ إلاَّ الرَّدَى
فَـــلاَ تُعَـــدُّ ذَاتُهُ فَـــضِـــيلَهْ
إنْ لَمْ يَكُنْ إلَى الهُـــدَى وَسِـــيلَهْ
فَـــإنَّهُ كَـــالكِذْبِ وَالخَـــيَـــالِ[2]
يَكُونُ عِنْدَ الحُلُفِ لِلأعْـــمَـــالِ
فَـــحَقُّ أهْلِ العِلْمِ صِـــدْقُ النِّيَّـــهْ
وَالإجْـتِـهَـادُ فِي صَـفَـا الطَّوِيَّهْ[3]
وَالجِـدُّ بِالتَّـقْـوَى بِخَـيْـرِ سِـيَـرَهْ
لِيَسْـتَـقِـرَّ العِلْمُ فِي البَـصِـيـرَهْ
فَـــعِـلْـمُ ذِي الأنْوَارِ فِي جَنَانِهِ
وَعِـلْـمُ ذِي الأوْزَارِ فِي لِسَـــانِهْ
وَإنَّ عُـنْـوَانَ عُـلُـومِ الـدِّيـنِ
فِي الصِّـدْقِ وَالخَـشْـيَـةِ وَاليَـقِـينِ

---

(١) هكذا في نسخة (ب ج) بالدال، وبالدالين في نسخة (أ) هكذا «يزدد».

(٢) الخيال: خال يخال خيالا: الظن والتوهم.

(٣) صفا الطوية: معنى خالصا للباطن.

وَأَفْضَلُ الْعُلُومِ عِلْمٌ يَقْتَرِبُ[1]
بِهِ الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ فِيمَا يَجِبْ
فَلْيَبْذُلِ الْجُهْدَ بِمَا يَزِيدُهُ
نُورَ الْهُدَى فِي كُلِّ مَا يُفِيدُهُ
وَالْعِلْمُ ذِكْرُ اللهِ فِي أَحْكَامِهِ
عَلَى الْوَرَى كَالشُّكْرِ فِي انْعَامِهِ
فَذِكْرُهُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ
كَالذِّكْرِ فِي الأَحْكَامِ وَالآيَاتِ
لَكِنْ كَثِيرٌ أَغْفَلُوا بِالعِلْمِ
وَحُكْمِهِ عَنْ رَبِّهِ ذِي الْحُكْمِ
وَأَدْخَلُوا فِيهِ الْجِدَالَ وَالْمِرَا
فَكَثُرَتْ آفَاتُهُ كَمَا تَرَى
فَصَارَ فِيهِمْ حَاجِبًا لِنُورِهْ
عَنْهُ فَمَاذَا قُوا جَنَى مَأْثُورِهِ
فَهَلَكُوا بِقُسْوَةٍ وَكِبْرِ
وَحَسَدٍ وَعُجْبٍ وَمَكْرِ

(١) هكذا في نسخ (أ ب) على وزن «افتعل» وبوزن «تفعل» في نسخة (أ).

نَعُـــوذُ بـالله مِنَ الخَـــبَـــالِ[1]

وَالعَـوْدِ بَعْـدَ الحقِّ فِي الضَّـلالِ[2]

فَـــالـذَّمُ مِنْهُمْ لاَ مِنَ العُلُومِ[3]

فَـــإِنَّهَـــا مِنْ طَاعَـــةِ القَـــيُّـــومِ

فَـــحَقُّ مَنْ يَخْـشَى مَـقَـــامَ رَبِّهِ

أَنْ يَعْـتَنِي بِأَمْـرِ مَـعْنَى[4] قَلْبِـهْ

إلى آخرِ مَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ، وَقَدْ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ بِالتَّـــعَلُّمِ

وَالحِـــفْظِ وَالإِتْقَـــانِ وَالتَّـــفَـــهُّمِ

وَالعِلْمُ قَـدْ يُرْزَقُـهُ الصَّـغِـيـرُ

فِي سِنِّهِ وَيُحْـــرَمُ الكَبِـيـــرُ

---

(١) الخبال أي الفساد. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه إن قوما بنوا مسجدا يظهر الكوفة فاتاهم وقال جئت لأكسر مسجدا الخبال فكسره ثم رجع.

(٢) هكذا في نسخة (أ ب) بالفاء الظرفية، وبالواو عطفا في نسخة (ج) وأما ما في نسخة (أ ب) أصح.

(٣) وصاحب العلم يشرف بعلمه إذا عمل به وخالص وألا يكون مذموما بزيفه.

(٤) يعني أن يهتم العاقل إلى معرفة علاج أمراض قلبه من حسد، وحقد وغيرها من أنواع أمراضها.

فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ
(لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَدَيْهِ)
(لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ)
فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خَلْقٌ عَجَبُ
فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبْ
وَالْعِلْمُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْأَدَبْ
فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّمْتِ مَا حَيِيتَا
مُقَارِنًا تُحْمَدُ مَا بَقِيتَا
وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أُنَاسٍ مَسْئَلَةْ
مَعْرُوفَةٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ مُنْفَعِلَةْ
فَلَا تَكُنْ إِلَى الْجَوَابِ سَابِقًا
حَتَّى تَرَى غَيْرَكَ فِيهَا نَاطِقًا
فَكَمْ رَأَيْتَ مِنْ عَجُولٍ سَابِقِ
مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ بِالْخَطَاءِ نَاطِقِ
الصَّمْتُ فَاعْلَمْ لَكَ حَقًّا أَزْيَنُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الْأَمْرُ
مَالِي بِمَا تَسْئَلُ عَنْهُ خُبْرُ

فَـــذَاكَ شَـطْرُ العِلمِ عِنْدَ العُلَمَـــا

كَـــذَاكَ مَـــا زَالَتْ تَقُـــولُ الحُكَمَـــا

إِيَّـاكَ وَالعُـــجْبَ بِفَـــضْلِ رَأْيِكَ

وَاحْـذَرْ جَـــوَابَ القَـــوْلِ مِنْ خِـطَابِكَ

كَمْ مِنْ جَـــوَابٍ أَعْـــقَبَ النَّدَامَـــةْ

فَـاغْـــتَنِمْ الصَّـــمْتَ مَعَ السَّـــلَامَـــةْ

العِلْمُ بَحْـــرٌ مُنْتَـــهَـــاهُ بَعِـــيْـــدُ

لَيْـسَ لَهُ حَـــدٌّ إِلَيْـــهِ يُقْـــصَـــدُ

وَلَيْـسَ كُلُّ العِلْمِ قَـــدْ حَـــوَيْتَـــهُ

نَعَمْ وَلَا العُـشْـرَ وَلَا أَحْـصَـــيْـتَـــهُ

وَمَـــا بَقِي مِنْهُ عَلَيْكَ أَكْـــثَـــرُ

مِـمَّـــا عَلِمْتَ وَالجَـوَادُ يَعْـثُـرُ[1]

فَـــرُبَّمَـــا أَعْـــيَ ذَوِي الفَـــضَـــائِلِ

جَـــوَابُ مَـــا يُلْقَى مِـنَ المَـــسَـــائِلِ

---

(١) الجواد يعثر: هذا ضربٌ مثل يضرب لمن يكون الغالب عليه وفعل الجمل ثم تكون منه الزلة.

فَيُمْسِكُوا بِالصَّمْتِ عَنْ جَوَابِهْ[1]

عِنْدَ إِعْتِرَاضِ الشَّكِّ فِي صَوَابِهِ

وَلَوْ يَكُونُ الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ

مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَا بِلاَ الْتِبَاسِ

إِذًا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبْ[2]

فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ آدَابَ الطَّلَبْ

---

(١) وهذه القاعدة العلمية ما زال السلف رحمة الله عليهم يقفوا في ما ليس لهم به إطلاع كما سئل الإمام مالك رحمه الله.

(٢) هذا ضرب مثل لحسن الصمت وهو من إخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به حيث قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

البابُ السابعُ

في حكْمِ المصافَحةِ وتقْبيلِ اليدِ والقيامِ للناسِ

وأمَّا المصافحةُ عندَ اللقاءِ فقدْ قالَ النَّوويُ[1]: إنَّها سنَّةٌ مُجْمَعٌ عليْها، والأصْلُ فيها حديثُ التِّرمذي وهُوَ معْروفٌ وقدْ قالَ عليْهِ السَّلامُ: «تصافحُوا تذْهبْ عنكُمُ العداوةُ»[2] وقالَ: «تحيَّاتُكُمْ بينكُمُ المُصافحةُ»[3] انتهى.

وقالَ الشَّيخُ أبُو الحسنِ[4] رضيَ اللهُ عنْهُ: «كانَ أصْحابُ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ إذا التقوا تصافحُوا وإذا قدمُوا منَ السَّفرِ تعانقَ بعْضُهُمْ بعْضًا».

وأمَّا المصافحةُ بعْدَ صلاةِ الصُّبحِ والعصْرِ أوْ غيْرِهما فقيلَ بدْعةٌ مكْرُوهةٌ[5] أوْ مُباحةٌ، أوْ مُسْتحبَّةٌ وقيَّدهُ[6] النَّوويُ[7] بما إذا صافحَ منْ هُوَ معهُ قبْلها، وأمَّا منْ ليْسَ معهُ قبْلها فمُصافحتُهُ مندُوبةٌ لأنَّها عنْدَ اللقاءِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) والحديث أخرجه الترمذي.

(٣) والحديث أخرجه الترمذي.

(٤) هو علي بن القاضي أبو الحسن صاحب التصانيف الجليلة في التفسير وفقه الشافعية توفي سنة ٤٥٠ وله من العمر ٨٦.

(٥) هكذا في نسخة (أ ب) وأما في نسخة (ج) كتب هكذا «مكروة» وهو خطأ.

(٦) والتقليد هنا، إن لم تصافح بلقه قبل الصلاة (وهو عدم اللقاء).

(٧) تقدمت ترجمته.

سُنَّةٌ إجْمَاعًا. ونَصُّ[1] النَّوَوِي[2] وأمَّا اعْتِقَادُ النَّاسِ المصَافَحَةَ بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ وبَعْدَ العَصْرِ، فَلاَ أصْلَ فِي الشَّرْعِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ ولَكِنْ لاَ بَأْسَ بِهِ[3] فَإنَّ أصْلَ المُصَافَحَةِ سُنَّةٌ، وكَوْنُهُمْ حَافَظُوا عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الأحْوَالِ وفَرَّطُوا فِيهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الأحْوَالِ لاَ يَخْرُجُ ذَلِكَ البَعْضُ عَنْ كَوْنِهِ مِنَ المصَافَحَةِ الَّتِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِأصْلِهَا. وأمَّا تَقْبِيلُ اليَدِ فَقَدْ انْكَرَهُ مَالِكٌ[4] وفِي الرِّسَالَةِ[5] وكَرِهَ مَالِكٌ[6] تَقْبِيلَ اليَدِ وانْكَرَ مَا رُوِيَ فِيهِ لكِنْ لَمْ يَكْرَهْهُ كَثِيرٌ مِنَ الأئِمَّةِ وقَالَ ابنُ بَطَّال[7] إنَّمَا يُكْرَهُ تَقْبِيلُ يَدِ الظَّلَمَةِ، والجَبَابِرَةِ، وأمَّا يَدُ الأبِ، والرَّجُلِ الصَّالِحِ فَيَجُوزُ نَقَلَهُ أبُو الحَسَنِ[8] ونَقَلَهُ فِي شَرْحِهِ لِلرِّسَالَةِ وقَدْ وَرَدَ فِي تَقْبِيلِ اليَدِ أحَادِيثٌ صِحَاحٌ مِنْهَا. حَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِي فِي سُؤَالِ اليَهُودِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَنِ

---

(١) تقدم النصوص من أول الباب.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.

(٥) الرسالة اسم كتاب في فقه المالكية تأليف ابن أبي زيد القيرواني.

(٦) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.

(٧) ابن بطال هو أبو عبد الله محمد بن بطال بن مهدى التميمي الفقيه الإمام المحدث توفي في ٣٦٦ هـ.

(٨) أبو الحسن: هو أبو الحسن المالكي الشاذلي صاحب (كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني).

التِّسْعِ آيَاتٍ[1] فَقَبَّلُوا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وَمِنْهَا حَدِيثُ رَوَاهُ الأَعْرَابِيُّ[2] الَّذِي سَأَلَهُ آيَةً فَاسْتَدْعَاهُ الشَّجَرَةَ وَقَالَ ائْذَنْ لِي أُقَبِّلُ (رَأْسَكَ)[3] وَرِجْلَكَ وَيَدَكَ فَأَذِنَ لَهُ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ. وَمِنْهَا حَدِيثُ وَفْدِ قَيْسٍ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] وَمِنْهُمْ مَنْ مَشَى وَمِنْهُمْ مَنْ سَعَى. وَمِنْهُمْ مَنْ هَرْوَلَ فَابْتَدَرُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ يُقَبِّلُونَهَا، وَأَمَّا الْقِيَامُ فَقَدْ قَالَ الْقَرَافِي فِي أَقْسَامِهِ خَمْسَةٌ يَحْرُمُ إِنْ فَعَلَ تَعْظِيمًا لِمَنْ يُحِبُّهُ وَيَجِبُ إِنْ خَافَ بِتَرْكِهِ

---

(١) التسع آيات: كان اليهود يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء تعنتا، وحسدا وبغيا ليلبسوا الحق بالباطل، فجاء مرة يهوديان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾، فقال لهما: لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، وعليكم يا يهود خاصة ألا تعتدوا في يوم السبت. فقبلا يديه ورجليه، وقالا نشهد أنك نبي. فقال ما يمنعكما أن تسلما؟ فقالا: نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود.

(٢) وهذه قصة مشهورة في كتاب الشفا ج ١ الباب الرابع الفصل ١٦ وقال البوصيري رحمه الله يؤيد هذا القول:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة ... تمشي على ساق بلا قدم. والأعرابي.

(٣) هكذا في جميع النسخ بزيادة «رأسك»، وهو خطأ لوروده في الشفاء.

(٤) هذا حديث وفد قيس أخرجه ابن كثير في كتابه «السيرة النبوية» في جزء الرابع: قدم وفد قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مرحبا بقوم غير خزايا ولا ندامى: «فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام... فحدثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعوا به من ورائنا. ورواية أحمد: - فلما رأو رسول الله صلى الله عليه وسلم رثوا من رواحلهم فألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلوا يده - الحديث.

شرّه ويُكرَهُ إنْ فعلَ لمنْ لمْ يُرِدْهُ للعادة لا لتعظيم[1] ويُباحُ إنْ فعلَ إجلالاً لمنْ لا يُريدُهُ، ويُندبُ للقادمِ منْ سفرٍ ليُسلِّمَ عليه أوْ يُفعلُ شكرًا للإحسانِ أو[2] لذي مُصيبةٍ ليُعزِّيه، وبهذا التقسيمِ يقعُ الجمعُ بينَ حديثِ: «منْ أحبَّ أنْ يتمثَّلَ لهُ الناسُ قيامًا فليتبوأْ مقعدَهُ منَ النارِ»[3] وقيامِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ حينَ قدمَ منَ اليمنِ فرحًا بقدومِه. وقيامِ طلحةَ لكعبِ بنِ مالكٍ[4] ليُهنِّئَهُ بتوبةِ اللهِ عليهِ ولمْ ينهَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وكانَ كعبٌ يقولُ أنا لا أنساها لطلحةَ. وقدْ وردَ في القيامِ أحاديثُ صحاحٌ منها حديثُ الترمذيِّ عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قدمَ زيدُ بنُ حارثةَ[5] المدينةَ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بيتي، فأتاهُ فقرعَ البابَ فقامَ إليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يجرُّ ثوبَهُ، الحديثَ،

---

(١) هكذا في نسخة (أ) ب لا للنفي وأما في نسخة (ب ج) بحرف استثناء (إلا) وهو خطأ.

(٢) هكذا في نسخة (أ) بـ أو عطفا وأما في نسخة (ب ج) سقط الألف بالواو فقط وهو خطأ.

(٣) والحديث أخرجه أحمد، وأبو داود والترمذي عن معاوية رضي الله عنه بلفظ (الرجال) بدون لفظ «الناس» كما كتبه المؤلف رحمه الله وهكذا في جميع النسخ بهذا اللفظ.

(٤) كعب بن مالك صحابي شاعر مشهور شهد العقبة، وأحدا وتخلف في تبوك وقصتهم مشهورة عن تخلفهم، وتوفي رضي الله عنه في خلافة معاوية رضي الله عنه.

(٥) زيد بن حارثة بن شراحيل صاحبي جليل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه حتى يقدمه وجعل له الإمارة. وهو الذي ظهر اسمه في الذكر الحكيم توفي رضي الله عنه في غزوة مؤتة.

وأخرج أيضًا[1] في فضائل فاطمة، عن عائشة رضي الله عنها[2] قالت: كانت فاطمة إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه[3].

(١) هكذا في نسخة (أ ب) بالألف وأما في نسخة (ج) سقط الألف «خرج» وهو خطأ.

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) بإثبات الترضي، وسقط في نسخة (أ).

(٣) والحديث - أصله في الموطأ في باب وقوت الصلاة.

البابُ الثامنُ

في توسعة أوقات الصلاة والدعاء بعدها

واعلمْ أنَّ أوقاتَ الصلاةِ مُستفادةٌ من فعلِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حينَ سألَهُ السائلُ عنْ أوقاتِ الصلاةِ. ومنْ حديثِ جبريلَ[1] عليه السلامُ صلَّى بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الظُّهرَ حينَ زالتِ الشمسُ، والعصرَ حينَ صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثلَهُ، والمغربَ حينَ غربتِ الشمسُ، والعشاءَ حينَ غابَ الشفقُ، والصبحَ حينَ طلعَ الفجرُ، ثمَّ صلَّى به في اليومِ الثاني الظُّهرَ حينَ صلَّى به العصرَ أمسِ. وصلَّى به العصرَ حينَ صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثليه، والمغربَ حينَ غربتِ الشمسُ، والعشاءَ حينَ مضى منَ الليلِ ثلثُهُ، والصبحَ حينَ أسفرَ الفجرُ وقالَ لهُ. بهذا أمرتُ أنْ أصلِّيَ بكَ يا محمدُ[2] انتهى. وأمَّا فعلُهُ[3] صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقدْ أخرجَ مسلمٌ[4] وأبو داودَ والنسائي[5] عنْ أبي موسى الأشعريِّ[6]. أنَّ سائلاً سألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

---

(١) جبريل عليه السلام ملك: أيل بالعبرانية اسم من أسماء الله ومعنى جبرائيل عبد الله.

(٢) وهذا الحديث أخرجه مالك في موطأ.

(٣) أي فعله صلى الله عليه وسلم كيف سن لأمته ليشمل علينا اليسر.

(٤) مسلم: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الحفاظ صنف صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ولد سنة ٢٠٦ وتوفي سنة ٢٦١ هـ.

(٥) النسائي: هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ولد سنة ٢١٥، صاحب السنن أحد من الأئمة الحفاظ توفي في مكة سنة ٣٢٥هـ.

(٦) هو أبو موسى الأشعري الصحابي مشهور وامة عامر بن قيس، نسبته إلى أشعر لقب لقبيلة المعروفة باليمن، توفي بمكة أو بالكوفة سنة (أربع وأربعين) أو (اثنين وخمسين) ومائة.

عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، حَتَّى أَمَرَ بِلاَلاً[1]، فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ، ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ، وَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، صَلَّى الْفَجْرَ فَانْصَرَفَ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَقَامَ الظُّهْرَ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَصَلَّى الْعَصْرَ وَقَدْ اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ، أَوْ قَالَ أَمْسِ وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَالَ. أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلاَةِ؟ الْوَقْتُ فِيمَا هَذَيْنِ[2] انْتَهَى.

وَفِي الْمُوَطَّإِ[3]: «مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ» مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ كِلاَهُمَا عَنْ مَالِكٍ وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ تَوْسِعَةُ الْوَقْتِ مَعَ أَنَّا لَيْسَ غَرَضُنَا مِنْ هَذَا انْتِصَارُ مَذْهَبِ مَنْ يُؤَخِّرُ الصَّلاَةَ بَلِ التَّنْبِيهُ عَلَى خِلاَفِ مَا زَعَمَهُ الْمُشَدِّدُونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ فِي الْوَقْتِ سَعَةً وَرُخْصَةً مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ فَلاَ يَتَعَرَّضُ عَلَى مَنْ لَمْ يُخْرِجْهَا عَنْ أَوْقَاتِهَا، وَلاَ سِيَّمَا لِقَوْمٍ يَشْتَغِلُونَ بِتَعَلُّمِ عِلْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ

---

(١) بلال بن أبي رباح سابق الحبشة إلى الإسلام. أسلم وهو في رق أمية اشتراه أبو بكر رضي الله عنه فاعتقه، مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم مات في الشام رضي الله عنه.

(٢) وهذا الحديث أخرجه مالك في موطأه.

(٣) الموطأ أحد كتب الأحاديث النبوية.

أُمُورِ الدِّينِ، فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ مَالِك لابنِ وَهْب[1] لَمَّا جَمَعَ كُتُبَهُ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مَا الَّذِي قُمْتَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا كُنْتَ فِيهِ إِذَا أَحْسَنْتَ النِّيَّةَ انْتَهَى. نَقَلَهُ ابنُ يونُسَ وَالمَوَّاقُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ[2] خَلِيلُ فِي التَّوْضِيحِ[3]. اعْلَمْ أَنَّهُ مَذْهَبُنَا أَنَّهُ أَوَّلُ الوَقْتِ الإِخْتِيَارِي وَآخِرُهُ سَوَاءٌ فِي الفَضِيلَةِ انْتَهَى.

وَقَالَ الأَصِيلِي[4]: أَوَّلُ الوَقْتِ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ فِي الفَضْلِ حَتَّى الضَّرُورِي. وَلَكِنْ[5] هَذَا القَوْلُ شَاذٌّ[6]، وَالمَشْهُورُ تَفْضِيلُ الإِخْتِيَارِي.

وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَقِبَ الصَّلَاةِ فَهُوَ سُنَّةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ سُنَّ لِلإِمَامِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا الدُّعَاءُ بَعْدَهَا عَلَى الكَيْفِيَّةِ المَعْهُودَةِ فِي أَكْثَرِ البِلَادِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَا أَصْحَابُهُ وَلِذَا تَرَكَهَا مَنْ

---

(١) ابن وهب: هو أبو عبد الله أبو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري أحد الأعلام في الحديث طالب للقضاء فجنب نفسه وانقطع إلى أن مات سنة ١٩٧هـ.

(٢) الشيخ خليل: هو الإمام العلامة خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب، صاحب المختصر كتاب صغر حجمه، وكثر علمه، وجمع فاوعى، لم تسمع قريحة بمثاله توفي سنة ٧٧٦هـ.

(٣) التوضيح: اسم كتاب تأليف خليل بن إسحاق المتوفى ٧٧٦هـ.

(٤) الأصيلي: القاضي أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي الإمام العالم المتفنن المعروف بالحديث والسنة النبوية رئيس علماء الإندلس توفي سنة ٣٩٢هـ.

(٥) كذا في نسخة (ب ج) بإثبات الواو في «ولكن» وسقطت في نسخة (أ).

(٦) الشاذ: والشاذ عند الفقهاء ما رواه ثقاة ولم يتفق على تفقههم.

تَرْكَهَا وَلَمْ يَمْنَعْهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلاَ أَصْحَابُهُ، وَلَذَا عَمِلَهَا مَنْ عَمِلَهَا لأَنَّهَا لاَ تَدْفَعُ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١) فِي فِعْلِهَا إِذْ لَيْسَتْ مُنْكَرًا، وَلاَ يُنْكِرُهَا كَمَا قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ(٢) إِلاَّ جَاهِلٌ لاَ يُعْتَدُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ تَرْكُهَا أَفْضَلَ لِإِتِّبَاعِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا نَصِيحَةً لِلطَّلَبَةِ الَّذِينَ يَجِدُونَ مَنْ يَفْعَلُهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ فَيُشْنِعُونَ عَلَيْهِمْ(٣) وَيُنْكِرُونَ عَلَيْهِمْ إِنْكَارَ مَنْ وَجَدَ النَّاسَ عَلَى كُفْرٍ أَوْ كَبِيرَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا وَيَقُولُونَ: هَذَا مُبْتَدِعٌ لَيْسَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا(٤) بِدْعَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهَا مُخْتَلَفٌ فِيهَا، هَلْ هِيَ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ أَوْ مُبَاحَةٌ أَوْ مُسْتَحَبَّةٌ وَعَلَى كُلٍّ مِنَ الأَقْوَالِ فَلاَ إِنْكَارَ عَلَى فَاعِلِهَا بَلْ مُنْكِرُهَا هُوَ فَاعِلٌ مُنْكَرٍ لأَنَّ إِنْكَارَ مَا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ مُنْكَرٌ، وَأَقْبَحُ مِنْهُ مَنْ أَنْكَرَ عَلَى تَارِكِهَا وَجَعَلَ يَقُولُ: تَرَكْتُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنَعْتُمُ الدُّعَاءَ عَقِبَ الصَّلاَةِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الدُّعَاءَ لَيْسَ رَفْعَ الأَيْدِي وَالتَّأْمِينَ، بَلِ الدُّعَاءُ هُوَ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فِي قَلْبِكَ أَوْ بِلِسَانِكَ رَفَعْتَ الأَيْدِي أَمْ لاَ، وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

---

(١) هكذا في نسخة (أ) بأكمل جملة بين القوسين، وسقطت في نسخة (ب)، ثم في نسخة (ج) سقطت بعضها وهي «النبي صلى الله عليه وسلم» وكلا النسختين خطأ ونسخة (أ) أصح.

(٢) ابن عرفة: فقيه مالكي كبير له كتاب اسمه «الحدود» من أفضل ما كتب توفي سنة ٨٠٣ هـ.

(٣) هكذا في نسخة (أ ج) وأما في نسخة (ب) بزيادة تاء المفاعلة هكذا «فيشتنعون».

(٤) هكذا في جميع النسخ بالتذكير ولعل الضمير يعود إلى العمل لا إلى البدعة فيجب فيه التأنيث.

البَابُ التَّاسِعُ

فِي السَّمَاعِ[1]، وَالحِدَادِ[2]، وَالوَجْدِ[3]، وَالتَّوَاجُدِ[4]، وَالْجَهْرِ بِالذِّكْرِ، وَالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ، وَالاجْتِمَاعِ عَلَى عُرْسِ[5] وِلاَدَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِطَلَبِ لَيْلَةِ القَدْرِ

اعْلَمْ[6] وَفَّقَكَ اللهُ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ السَّمَاعِ لِكَوْنِهِمْ لاَ نَصَّ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الشَّارِعِ بِإِبَاحَةٍ وَلاَ مَنْعٍ فَأَبَاحَهُ بَعْضُهُمْ، (بِنَاءً عَلَى أَنَّ الأَصْلَ الإِبَاحَةُ فِيمَا لَمْ يُمْنَعْ وَعَكَسَهُ بَعْضُهُمْ)[7]، وَتَوَقَّفَ آخَرُونَ (لِتَعَارُضِ الأَدِلَّةِ وَفَصَّلَ آخَرُونَ)[8].

قَالَ البُرْزُلِي[9]. سُئِلَ بَعْضُ المَشَائِخِ عَنِ السَّمَاعِ فَقَالَ مُسْتَحَبٌّ لأَنَّ

---

(١) السماع: هو الإنشاء بالقلب إلى ما يحمد شاعر.

(٢) الحداد: وهو البكاء للخشوع والشفقة عند السماع.

(٣) الوجد: هو ثمرات الأوراد بكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه.

(٤) التواجد: هو استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد ويقولون أيضا: التواجد بداية الوجود ونهايته، والوجد واسطة بين البداية والنهاية.

(٥) عرس ولادة النبي صلى الله عليه وسلم معنى احتفال مولده صلى الله عليه وسلم، وكلمة (عرس) بدون واو في نسخة (أ) وبالواو في نسخة (ب ج) وهو خطأ.

(٦) هكذا بدون واو في نسخة (أ) وثبوتها في نسخة (ب ج) هكذا «واعلم».

(٧) هكذا بإثبات الجملة التي بين القوسين في نسخة (أ ج) وسقطت في نسخة (ب).

(٨) هكذا بإثبات الجملة في نسخة (ب ج) التي بين القوسين وسقطت في نسخة (أ).

(٩) البرزلي هو أبو القاسم بن أحمد البرزالي القيرواني ثم التونسي مفتيها وفقيهها وحافظها وإمامها أخذ عن ابن عرفة له ديوان كبير في الفقه توفي سنة ٨٤١ أو ٨٤٤ وعمره ١٠٣.

الحقائق مُباحٌ لأهل الأحوال[1] ومكروهٌ لأصحاب النفوس[2] والحظوظ. وقال بندار الحسين: السماعُ على ثلاثة أوجه منهم، من يسمعُ بالطبع، ومنهم من يسمعُ بالحال، ومنهم من يسمعُ بالحق، فالذي يسمعُ بالطبع يشترك فيه الخاص والعام فإن جبلة البشرية[3] استلذّ لصوت الطيب والذي يسمعُ بالحال فهو يتأمّل ما يردُ عليه من ذكر أو عتاب أو خطاب أو وصل، أو هجر أو قرب، أو بُعد، أو تأسُّف على فائت أو تعطُّش لآت أو وفاء بعهد، أو تصديق لوعد، أو نقض للعهد أو ذكر قلق[4] أو خوف فراق[5] أو إشتياق أو فرح[6] ووصل[7] وما جرى مجراه[8]. وأمّا من يسمعُ بالحق فيسمعُ بالله ولله، وقال القاضي عبدُ الرحمن القرشي في كتابه نهاية البداية[9]. يُقال للمعترض على

(١) أهل الأحوال: هم أصحاب الفن الذين ارتقوا إلى مرتبة الحقيقة.

(٢) أهل النفوس: الذين لم يرتقوا إلى منزلة الحقيقة.

(٣) هكذا في نسخة (أ ج) بكلمة «جبلة» أي خلقة وأما في نسخة (ب) بكلمة «جملة».

(٤) قلق: هو اضطراب بمعنى القشعريرة عند الذكر.

(٥) هكذا في نسخة (أ ج) بالألف بين الراء والقاف وسقطت في نسخة (ب) وهو خطأ.

(٦) هكذا في نسخة (أ ب) بالخاء المهملة، وبالمعجمة في نسخة (ج).

(٧) هكذا في نسخة (ب) بالواو عطفا، وبالباء في نسخة (أ) هكذا «بوصال».

(٨) وجميع هذه الإصطلاحات الصوفية التي تعرج السامع إلى حضرة الشوق عند سماعه.

(٩) نهاية البداية: اسم كتاب.

السَّمَاعِ لِلْغِنَاءِ بِالتَّحْرِيمِ نُرِيدُ أَنْ نَعْلَمَ أَوْ مَا هُوَ الْغِنَاءُ؟ فَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ الصَّوْتُ الَّذِي تَصْحَبُهُ الْغُنَّةُ وَهِيَ الْمُسْتَلَذَّةُ عَنْ حَاسَّةِ[1] السَّمْعِ الْوَاصِلِ إِلَى الْقَلْبِ بِهَذَا الطَّرْبِ فَلَا أَحَدَ مِنَ الْخَلْقِ يَتَحَرَّمُ هَذَا (ملحنا ماعنا)[2] كَانَ الصَّوْتُ أَوْلَا شِعْرًا أَوْ غَيْرَ شِعْرٍ انْتَهَى. وَقَالَ الْقَلْشَانِي قَالَ الْقُشَيْرِي قَدْ سَمِعَ السَّلَفُ وَالْأَكَابِرُ الْأَبْيَاتَ بِالْأَلْحَانِ[3]، وَمِمَّنْ قَالَ بِإِبَاحَةِ مِنَ السَّلَفِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَأَهْلُ الْحِجَازِ كُلُّهُمْ يَسِيحُونَ الْغِنَاءَ. وَأَمَّا الْحُدَاءُ فَإِجْمَاعٌ مِنْهُمْ عَلَى إِجَازَتِهِ وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ[4] وَاسْتَفَاضَتْ[5] الْآثَارُ فِي ذَلِكَ انْتَهَى.

وَأَمَّا الْوَجْدُ وَهُوَ كَمَا قَالَ الْأَبِي رَحِمَهُ اللهُ: انْزِعَاجُ[6] الْقَلْبِ إِلَى الْحَقِّ عِنْدَ السَّمَاعِ مَا يُحَرِّكُ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ ذِكْرِهِمَا فَلَا سَبِيلَ لِلْإِنْكَارِ عَلَى صَاحِبِهِ (لِأَنَّهُ لَا يُمْلَكُ مَعَهُ التَّمَالُكُ)[7] عَلَى ظُهُورِ أَثَرِهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ

(١) هكذا في نسخة (أ) بتاء المربوطة. وأما في نسخة (ب ج) بزيادة هاء الضمير يعود إلى السامع هكذا «حاسة السمع».

(٢) هكذا في نسخة (أ ج) بدون زيادة «ماعنا». وأما في نسخة (ب) سقطت ملحنا «وأبقى» «ماعنا» فقط.

(٣) الألحان: لحن تأثر بمعنى فطن اللحن أي الأحسن غناء وقراءة.

(٤) الأخبار يعني الأحاديث النبوية.

(٥) واستفاضت الآثار: كثرت الأدلة عند الأئمة والسلف الذين يقتدى بهم.

(٦) انزعاج: زعج معناه أقلعه من مكانه أي طرده والإزعاج = قلق.

(٧) هكذا في نسخة (ج) كتب بدون زيادة. وأما في نسخة (أ) كتب هكذا «لا يملك يملكن» وهو خطأ. وفي نسخة (ب) هكذا «يملك يمكن» وهو خطأ أيضا.

لاَ الأَحْـوَالُ لاَ تُعَـانِد لأَنَّ الـفِعْلَ الضَّـرُورِي لاَ يَتَّـصِفُ بِالحُـكم الشرعي[1].

وَأَنْشَدَ أَبُو مَدْيَن[2] رَحِمَهُ اللهُ بِمَكَّةَ فَقَالَ:

فَـقُلْ لِـلَّذِي يَنْهَى عَنِ الوَجْـدِ أَهْـلِه

إِذَا لَمْ تَذُقْ[3] مَعْنَا شَرَابَ الْهَوَى دَعْنَا

إِذَا اهْتَـزَّتِ الأَرْوَاحُ شَـوْقًـا إِلَى اللُّقَـا

تَرَاقَـصَتِ الأَشْبَاحُ[4] يَا أَهْلَ المَعْنَى[5]

إِنَّمَـا تَـنْظُرُ الطَّيْـرُ الْمُقْـفِصُ يَـا فَـتَى

إِذَا ذُكِـرَ الأَوْطَـانُ حَنَّ[6] إِلَى المَعْنَا

وَفَـرِحَ بِـالتَّـغْـرِيدِ[7] مَـا بِفُـؤَادِهِ

فَـتَـضْطَرِبُ الأَعْـضَـاءُ بِالحِسِّ وَالمَعْنَا

---

(١) هكذا في نسخة (ح ب) بإثبات كلمة «الشرعي» وسقطت في نسخة (أ).

(٢) أبو مدين: تقدمت ترجمته.

(٣) من ذوق ذوقا إذا اختبر طعاما، استعارة وهي اصطلاحية عند الصوفية بمعنى إذا وجد الحقيقة.

(٤) جمع شبح - بمعنى التحرك وارتفاع عند الشوق.

(٥) هم أصحاب الحقيقة.

(٦) حن يحن حنينا أي استطرب.

(٧) أصله غرد الطائر، تغرد صوته وطرب عند الذكر.

كَـذَلِكَ أَرْوَاحُ الْمُـحِـبِّينَ يَا فَـتَى
تَهَـزُّهَا الأَشْـوَاقُ[1] لِلْعَـالَمِ الأَسْنَا
أَلْزِمُـهَـا بِالصَّـبْـرِ وَهِيَ مَـشُـوقَـةٌ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ مَنْ شَاهَدَ المَعْنَا
فَـيَـا حَـادِيَ الْعُشَّـاقِ قُمْ قَائِمًـا[2]
وَزَمْـزِمْ[3] لَنَا بِاسْمِ الْحَبِيبِ وَرَوِّحْنَا
وَصُنْ سِـرَّنَا فِي سُكْرِنَا عَنْ حَسُـودِنَا
وَإِنْ أَنْكَرَ الأَشْـيَـاءَ فَـسَـامِحْنَا
فَـإِنَّا[4] إِذَا طِبْـنَا وَطَابَتْ عُـقُـولُـنَا
وَخَـامَـرَنَا خَـمْـرُ الْغَـرَامِ تَهَـتَّكْنَا
فَـلَا تَـلُمِ السُّكْرَانَ فِي حَـالِ سُكْرِهِ
فَـقَـدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا

وَرُوِيَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا وَجَاءَتْهُ طُيُورٌ وَدَارَتْ حَوْلَهُ عَاكِفَةً[5] فَتَوَاجَدَ[6].

---

(١) جمع شوق وهو حركة الهوى.
(٢) هكذا في جميع النسخ.
(٣) زمزم: وهو صوت البعيد له دوي.
(٤) هكذا في نسخة (ج ب) بـ (نا) الع المتكلم، وأما في نسخة (أ) كتب هكذا «فإذا» وهو خطأ.
(٥) هكذا في نسخة (ب ج) وأما في نسخة (أ) هكذا «عاطفة» هذا خطأ الكاتب.
(٦) التواجد: قد سبق ذكره أول الباب.

وأنشد:

تَـوَجُّعُ مَـراضٍ وَخَـــوْفُ مُطَالَـبِ

وَاشْـفَـاقُ مَهْـمُـومٍ وَحُـزْنُ كَـئِـيبِ

وَلَوْعَـةُ مُـشْـتَـاقٍ وَزَفْـرَةُ وَالِهٍ

وَسَـقْطَةُ مِـنْـقَـامٍ بِغَـيْـرِ طَبِـيبِ

أَلَمَّتْ بِقَلْبٍ حَـيَّـرَتْهُ طَوَارِقٌ

مِنَ الشَّـوْقِ حَـتَّى ذَلَّ ذُلَّ غَـرِيبِ

يُكَابِدُ أَشْـجَـانًا وَيُخْـفِي مَـحَـبَّـةً

ثَوَتْ وَاسْـتَـكَنَّتْ[1] فِي فُـؤَادٍ لَـبِيبِ

فَصَاحَ الْمَجْلِسُ وَضَجُّوا فَمَا زَالَ طَائِرٌ مِنْهَا يُصْفِقُ[2] جَنَاحَيْهِ حَتَّى سَقَطَ مَيِّتًا وَمَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْمَحَاضِرِينَ. وَقَالَ فِي الإِحْيَاءِ[3] وَأَمَّا مَا نُقِلَ مِنَ الْوَجْدِ بِالْقُرْآنِ عَنِ الصَّحَابَةِ. وَالتَّابِعِينَ. فَكَثِيرٌ لاَ يُحْصَرُ فَمِنْهُمْ مَنْ صَعِقَ[4] وَمِنْهُمْ مَنْ بَكَى. وَمِنْهُمْ مَنْ غُشِيَ عَلَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي

---

(١) هكذا فى نسخة (ب ج) وأما فى نسخة (أ) كتب «واستكنت» فصار معنى إلى الاستكانة وهو خطأ للكاتب.

(٢) هكذا في نسخة (ب ج) يصفق، وأما في نسخة (أ) بلعين هكذا «صعق» وهو خطأ.

(٣) يعني إحياء علوم الدين «تأليف الإمام أبي حامد الغزالي».

(٤) هكذا فى نسخة (ب) وأما في نسخة (أ ج) كتب بالفاء «صفق» هذا خطأ ووهم للكاتب لما سبق من رقم «١».

غشيانه ذلك. وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾.

وأما التواجد وهو التكلف بالوجد فقد[1] قال السهروردي سئل بعضهم عن التكلف بالوجد فقال هو على ضربين. تكلف في المستمع بطلب جاه أو منفعة دنيوية وهذا تلبيس وخيانة. وتكلف في طلب الحقيقة فهو مندوب انتهى. وفي شرح رسالة القشيري[2] واعلم أن الوجد ينقسم إلى هاجم. وإلى متكلف ويسمى التواجد. وأما التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء. وإظهار الأحوال الشريفة مع الأفلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التواصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة بالحلية[3] ولذا أمر عليه السلام من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى[4] ويتحازن فإن هذه الأحوال قد يتكلف في مبادئها ثم يتحقق أو آخرها انتهى.

وأما الحركات[5] التي يتحركونها. والأصوات التي يصوتونها فلا

(١) هكذا في نسخة (أ) وأما في نسخة (ب ج) سقطت الكلمة.

(٢) شرح رسالة القشيري لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

(٣) هكذا في نسخة (ب ج) وأما في نسخة (أ) انحرفت الكلمة إلى هكذا (بالحيلة) وهذا خطأ للكاتب.

(٤) هكذا في نسخة (ب ج) بالفتحة المقدرة آخر الفعل، وأما في نسخة (أ) بالياء هكذا (يتباكى) وهو خطأ.

(٥) الحركات - وهي من أنواع الوظيفة التي يفعلونها بعض الصوفية.

يُنازِعُ المُنكِرُ أنَّها مُباحَةٌ إذْ قَلَّ رُتْبَتُها أنْ تَكُونَ مِنَ اللَّهْوِ. والرَّقْص للغَوْغاء إذَا لَمْ يَتْرُكُوا لأجْله فَرْضًا ولاَ حَسَبُوهُ عِبادَةً لاَ حَرَجَ فيه قَالَهُ المَوَّاقُ[1] في سُنَنِ المُهْتَدِين[2] انْتَهَى. ومِثْلُهُ اجْتِماعُهُمْ لطَلَبِ لَيْلَةِ القَدْرِ. وخَتْمِ القُرْآنِ فَكُلُّ ذَلكَ لاَ يُنْكَرُ إلاَّ إذَا اقْتَرَنَ بِمُنْكَرٍ مُتَّفَقٍ عَلَى تَحْرِيمِه فَيُنْهَى عَنْ ذَلكَ المُنْكَرِ واللهُ أعْلَمُ لكِنِ المَأْمُورُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَعْمِيرُهَا بالعِبادَةِ عَلَى الإنْفِرَادِ واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

وأمَّا الجَهْرُ بالذِّكْرِ والإجْتِماعُ عَلَيْه فَكُلُّ ذَلكَ جَائِزٌ وإنِ اخْتَلَفُوا في الإجْتِماعِ عَلَيْه لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ والتِّرْمِذِي أنَّهُ عَلَيْه السَّلاَمُ قَالَ: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ[3] الرَّحْمَةُ ونَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» وعَنْ أنَسٍ[4] عَنْهُ عَلَيْه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ «إذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا: قَالُوا ومَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ حِلَقُ الذِّكْرِ» أخْرَجَهُ التِّرْمِذِي. وأمْثَالُه في الحَدِيثِ كَثِيرَةٌ. وظَاهِرُ الحَدِيثِ يَدُلُّ

---

(١) المواق - تقدمت ترجمته.

(٢) سنن المهتدين: اسم كتاب.

(٣) هكذا في الحديث بتاء التأنيث الساكنة في فعل «غشي» وسقطت التاء في جميع النسخ وهو خطأ لورود ما في الحديث، وكون الفاعل مؤث.

(٤) أنس هو أنس بن مالك صحابي جليل، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصاري الخزرجي وهو مكثر الرواية وهو ابن ثمان أو عشر ولازمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ودعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في ماله وولده، وعمره والمغفرة. فكان رضي الله عنه من أكثر الناس مالا وولد له بضعة وعشرون ومائة من الأولاد، وكان له بستان يحمل في السنة مرتين، وعاش حتى سلم من الحياة وتوفي سنة ٩٣ وله مائة سنة ودفن قرب البصرة رضي الله عنه.

عَلَى الاجْتِمَاعِ بِالذِّكْرِ فَلاَ التِفَاتَ إِلَى مَنْ[1] يَحْمِلُهَا[2] عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهَا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ لكِنَّا نَذْكُرُ لَكَ هَذَا لا اسْتِنْصَارًا لَهُ وَحَضًّا عَلَيْهِ بَلْ لِئَلاَّ تَعْتَرِضَ[3]. عَلَيْهِ لِكُلِّ مَنْ فَعَلَهُ إِنْ لَمْ تَفْعَلْهُ. وَأَمَّا مَا يَفْعَلُ بَعْضُهُمْ فِي عُرْسِ[4] وِلاَدَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِ اجْتِمَاعِهِمْ وَخَتْمِهِمِ الْقُرْآنَ وَاشْتِغَالِهِمْ بِوَظَائِفِ الطَّاعَاتِ لِقَصْدِ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِدْعَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ فَلاَ يُنْكَرُ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مُنْكَرٌ بَيِّنٌ وَإِنْ كَانَ انْكَرَ الْمُنْكَرَ عَلَى حَدِّ إِنْكَارِهِ.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودٍ الكَازَرُونِي[5] فَهُمْ فِي ذَلِكَ مُصِيبُونَ مُحْسِنُونَ لكِنَّ الأَوْلَى لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ هَذَا الشِّعَارَ الْمُبَارَكَ أَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ فِي مَوْضِعٍ وَيَصْعَدَ الكُرْسِيَّ. وَيُبَيِّنَ لَهُمْ أَحْوَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ نُورَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ انْتَهَى وَمِثْلُهُ اجْتِمَاعُهُمْ لِطَلَبِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَخَتْمِ الْقُرْآنِ فَكُلُّ ذَلِكَ لاَ يُنْكَرُ إِلاَّ إِذَا اقْتَرَنَ بِمُنْكَرٍ مُتَّفَقٍ عَلَى تَحْرِيمِهِ فَيُنْهَى عَنْ ذَلِكَ الْمُنْكَرِ وَاللهُ أَعْلَمُ لكِنِ الْمَأْمُورُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَعْمِيرُهَا بِالْعِبَادَةِ عَلَى الإِنْفِرَادِ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي[6] السَّبِيلَ.

---

(١) هكذا في نسخة (ب ج) بـ من الموصولة وأما في نسخة (أ) هكذا «مل» باللام وهو خطأ وهو انحراف للكاتب.

(٢) هكذا في جميع النسخ بـ (ها) للتأنيث.

(٣) هكذا في نسخة (أ) بالفوقية. وأما في نسخة (ب ج) بالتحتانية.

(٤) عرس ولادة النبي صلى الله عليه وسلم يعني احتفال مولده صلى الله عليه وسلم.

(٥) سعيد بن مسعود الكازروني.

(٦) وسقط حرف علة في جميع النسخ وهو خطأ للكاتب.

البَابُ العَاشِرُ

في أَخْذِ[1] جَوَائِزِ السَّلَاطِينِ وَإِتْيَانِهِمْ لِقَصْدِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَحْسِينِ الثَّنَاءِ لِرَعْيِ الْمَصَالِحِ.

وَأَمَّا أَخْذُ جَوَائِزِ السَّلَاطِينِ الظَّلَمَةِ، فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ، فَقَالَ قَوْمٌ كُلُّ مَالاً يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ حَرَامٌ فَلَهُ أَخْذُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ، لاَ يَحِلُّ أَنْ يُؤْخَذَ مَالاً يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ حَلَالٌ، قَالَ قَوْمٌ: صِلَةُ[2] السَّلَاطِينِ تَحِلُّ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ أَنَّهُ حَرَامٌ، وَإِنَّمَا التَّبِعَةُ عَلَى الْمُعْطِي لأَن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِلَ هَدِيَّةَ الْمُقَوْقِسِ[3] مَلِكُ الاسكندرية وَاسْتَقْرَضَ[4] مِنَ الْيَهُودِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[5] وَقَدْ أَدْرَكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيَّامَ الظَّلَمَةِ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ وَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ لِلْفَقِيرِ فَقَطْ.

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الزَّرُّوقُ[6] بَلَغَنَا أَنَّ السُّلْطَانَ حَسَنًا صَنَعَ طَعَامًا لِجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ فِي وَقْتِهِ وَدَعَاهُمْ لَهُ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَكَلَ وَلَمْ

---

(١) هكذا في نسخة (أ ج) بكلمة (أخذ) وأما في نسخة (ب) بالدال المهملة وهو خطأ.

(٢) الصلة بكسر الصاد بمعنى العطية والهدية.

(٣) المقوقس: واسمه جريج بن مينا وهو ملك القبط وصاحب الإسكندرية أرسل له الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه إلى الإسلام، وهو الذي أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية.

(٤) استقرض: من القرض أي طلب القراض.

(٥) المائدة الآية (٤٢).

(٦) تقدمت ترجمته.

يتوقف ومنهم من استتر بالصوم، ومنهم من أخرج خبزه وترك الإدام، ومنهم من أكل وتصدق بالقيمة[1] ومنهم من قال أنا صائم، ولكن هاتوا من طعام الملك، فسألهم شيخهم عن ذلك، فقال الأول: طعام مستهلك ترتبت القيمة في ذمة مستهلكه فحل له التصرف فيه، وقد[2] مكنني منه عن طيب نفسه فبأي وجه أتركه.

وقال الثاني: تجنب محل الشبهة بجميع وجوهه. وقال الثالث: عملته[3] على القول بغلة الغاصب. وقال الرابع: مال مجهول الأرباب يجب فيه التصدق بالقيمة فكنت آخذ قدره. وقال الخامس: طعام مستحق للمساكين قدرت على استخلاص بعضه فاستخلصت ما قدرت عليه لأربابه انتهى.

وحكى أبو نعيم في حليته[4] ان ابن المبارك[5] دخل على الخليفة فوعظه، وذكره فأعطاه مالاً فاشترى به عبيداً واعتقهم فقال له محمد بن واسع في ذلك، فقال ذكرتهم بالله وأخذت منهم مال الله وصرفته في وجهه انتهى.

---

(١) هكذا في نسخة (ج) بزيادة وتصدق بالقيمة وسقطت في نسخة (أ ب).

(٢) هكذا بثبوت الواو في نسخة (أ) وسقطت في نسخة (ب ج).

(٣) هكذا في نسخة (ب ج) مع زيادة هاء الضمير يعود إلى الأخذ وهو أصح مما في نسخة (أ) كتب هكذا (علمت) وهو انحراف الكلمة للكاتب.

(٤) حلية - اسم كتاب.

(٥) ابن المبارك: هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي من أئمة الحديث. توفي سنة إحدى وثمانين ومائة وله ٦٣ من عمره.

وإنَّما نَبَّهْناكَ عَلَى هَذَا لِئَلاَّ تَتَعَرَّضَ لِكُلِّ[1] مَنْ رَأَيْتَ يَقْبَلُ جَوَائِزَهُمْ وَلاَ تَعْتَقِدْ أَنَّهُ أَكَلَ حَرَامًا فَتُسِيءَ الظَّنَّ بِهِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ نَفْسَكَ وَرَاعِ مَصْلَحَتَكَ وَاللهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ. وَأَمَّا تَحْسِينُ الثِّيَابِ وَتَطْوِيلُهَا وَتَوْسِيعُهَا فِيهِ مِنَ البِدَعِ المُخْتَلَفَةِ كَرَاهَتُهَا وَجَوَازُهَا، وَقِيلَ بِنَدْبِهَا فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ لِلأَئِمَّةِ وَوُلاَةِ الأُمُورِ بِسَبَبِ أَنَّ المَقَاصِدَ وَالمَصَالِحَ الشَّرْعِيَّةَ لاَ تَحْصُلُ إِلاَّ لِعَظَمَتِهِمْ فِي نُفُوسِ النَّاسِ، وَالنَّاسُ اليَوْمَ لاَ يُعَظِّمُونَ إِلاَّ بِالصُّوَرِ.

قُلْتُ[2] إِنْ تَرَكَ رَعْيَ ذَلِكَ وَالإِتِّبَاعَ لِلسُّنَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَلْبَسَ مَا وَجَدَ أَفْضَلُ، فَانْظُرْ إِلَى مَا رُوِيَ: أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ النَّوْفَلِيَّ كَتَبَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ[3] رَحِمَهُمَا اللهُ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ.

مِنْ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ[4] بْنِ عَبْدِ المَلِكِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ[5] أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَلْبَسُ الرِّقَاقَ[6] وَتَأْكُلُ الدَّقَاقَ[7] وَتَجْلِسُ عَلَى

---

(١) هكذا في نسخة (ب ج) ب من للعاقل وأما في نسخة (أ) ب (ما) لغير العاقل وهو خطأ للكاتب.

(٢) يعني الشيخ عبد الله صاحب الكتاب.

(٣) مالك بن أنس رحمه الله تقدمت ترجمته.

(٤) يحيى بن زيد بن عبد الملك تقدمت ترجمته انفا.

(٥) مالك بن انس تقدمت ترجمته.

(٦) الرِّقاق: اللباس الليه.

(٧) الدَّقاق: هو الخبز الرقيق أو قنات خلط مع الملح والتوابل.

الوطاء[1] وقد ضربت إليك المطي وارتحلت إليك الناس فاتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع[2] كتبت إليك كتابا ما اطلع إليه أحد إلا الله[3].

فكتب إليه مالك:

بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس[4] إلى يحيى بن يزيد[5] سلام عليك أما بعد:

فقد وصل إلي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة والأدب متعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا.

وأسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأما ما ذكرت لأني ألبس الرقاق وآكل الدقاق وأجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك وتستغفر الله وقد قال الله عز وجل: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[6] وأني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه: (ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام)[7].

---

(١) الوطاء: الفراش لينه.
(٢) التواضع ضد التكبر.
(٣) هذه غاية اختفاء النصيحة.
(٤) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.
(٥) يحيى زيد تقدمت ترجمته.
(٦) الآية من سورة الأنعام (١٣٣).
(٧) والقصة أصلها في إحياء علوم الدين للغزالي في كتاب العلم.

وَقَالَ الغَزَالي[1] فَانْظُرْ إِلَى إِنْصَاف مَالك[2] إِذ اعْتَرَف بِأَنَّ تَرْكَ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّخُول فيه وَأَفْتَى بِأَنَّهُ مُبَاحٌ وَقَدْ صَدَّقَ فيهمَا جَميعًا انْتَهَى.

خَاتِمَةٌ: وَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ نَفْسه وَيُجَاهِدَهَا عَلَى تَرْكِ المَعَاصِي ظَاهِرًا وَبَاطِنًا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَعَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ فِي جَمِيعِ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ إِلَى أَنْ يَلْقَى اللهَ عَلَى الرِّضَى.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالحَضِّ عَلَى اتِّبَاعِهَا إِلَى أَنْ نَلْقَاكَ عَلَى الرِّضَى.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ)[3].

---

(١) هو أبو حامد الغزالي صاحب إحياء علوم الدين وتقدمت ترجمته.

(٢) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.

(٣) والدعاء بأعمالها ثابته في نسخة (أ) وسقطت في نسخة (ب ج).